بلاغة التصوير النبوي في الحديث عن الفتن فيما اتفق عليه الشيخان

الدكتور

عبدالله محمد سليمان حسيني

مدرس البلاغة والنقد- كلية اللغة العربية بالزقازيق

العدد العشرون

للعام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

الجزء الخامس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٦م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد وأوتي جوامع الكلم، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، **وبعد**.

فالسنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله – تعالى، وهي تقترب في درجة إحكامها وقدسيتها إلى درجة إحكام القرآن الكريم وقدسيته؛ لأنها تمثل جانبا من جوانب الوحي الذي أوحاه الله إلى نبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم، ولا غرو في ذلك فالنبي هو القائل: "ألا إنما أوتيت القرآن ومثله معه".

والبيان النبوي يمتاز في عمومه بالجمع بين الجزالة في المفردات، والديباجة والوضوح في الدلالة، والبعد عن التكلف والتصنع، مع تجديده في أساليب النثر المألوفة.

كما يمتاز الأسلوب النبوي بالقدرة الرائعة على التصوير وتجسيد المواقف والأحداث، وقد احتلت هذه السمة مساحة واسعة من مساحات البيان النبوي؛ لما لها من قدرة كبيرة في الإقناع والتأثير؛ إذ النفس تجنح إلى التشخيص والتجسيد، وإخراج الغيبيات والأمور المعقولة مخرج الواقع المحسوس والمشهد المنظور، وهذا أمر قد تقرر في الفطرة الإنسانية وتواطأ عليه علماء البلاغة.

ومع غزارة عطاء البيان النبوي وتميزه في خصائصه الأسلوبية والتصويرية؛ إلا أنه لم ينل القدر الكافي من توفر الباحثين على دراسته ــ وبخاصة جانب التصويرــ وهي سمات وخصائص تجعل البيان النبوي في قمة البيان البشري.

وهذا الموضوع الذي جاء بعنوان "بلاغة التصوير النبوي في الحديث عن الفتن فيما اتفق عليه الشيخان" توفر الباحث فيه على دراسة جانب التصوير النبوي فيما يتعلق بالأحداث العظيمة التي أصابت هذه الأمة ــ ومازالت تصيبها ــ في محاولة لإبراز أسرار التعبير النبوي في هذا الباب، ومحاولة الربط بينها وبين الواقع الأليم الذي تعيشه الأمة الآن من فتن وشدائد، تتابعت عليها كتتابع مواقع القطر.

كما أن هذا البحث يبرز مدى وفاء التعبير النبوي بالغرض وقدرته على تجسيد هذه الأحداث والمواقف وتشخيصها والإلمام بها؛ لأخذ الحيطة والحذر من الوقوع فيها والانجراف إلى طريقها؛ لما تجره من وبال عظيم وشر مستطير على الأمة أفرادا ومجتمعات.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وأربعة محاور، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

- **المقدمة** : تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياري له، والخطة التي سرت عليها، والمنهج المتبع في الدراسة.
- **التمهيد** : بينت فيه بعض خصائص الصورة في البيان النبوي.
- **المحور الأول** : بلاغة التصوير بالتشبيه في الحديث عن الفتن.
- **المحور الثاني** : بلاغة التصوير بالمجاز في الحديث عن الفتن، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأولى : بلاغة التصوير بالاستعارة.

المبحث الثاني : بلاغة التصوير بالمجاز المرسل.

المبحث الثالث : بلاغة التصوير بالمجاز العقلي.

- **المحور الثالث** : بلاغة التصوير بالكناية في الحديث عن الفتن.
- **المحور الرابع** : بلاغة التصوير بالكلمة المفردة في الحديث عن الفتن، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : التصوير بالدلالة المعجمية.

المبحث الثاني : التصوير بصيغ الزمن.

المبحث الثالث : التصوير بصيغ المبالغة.

- **الخاتمة** : وتشتمل على أهم النتائج التي توصل إليها البحث.
- **ثبت المصادر والمراجع**.

أما المنهج فقد اعتمدت في دراستي على المنهج الاستقصائي التحليلي الذي يقوم على استقصاء وحصر الصور النبوية في الحديث عن الفتن فيما اتفق عليه الشيخان، ثم تحليلها تحليلا بلاغيا يكشف عن بعض أسرارها وأغوارها البلاغية، وبيان عطائها في سياقها من التعبير النبوي، ومدى مطابقتها للمقام والموقف الذي قيلت فيه، ثم محاولة ربط هذه الصور وإسقاطها على الواقع الأليم الذي تعيشه الأمة الآن من كثرة الفتن وتتابعها، وبيان سبل النجاة منها على حسب ما أورده البيان النبوي، والله أسأل أن يلهمنا الرشاد والصواب وأن يرزقنا السداد والقبول في القول والعمل، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

التمهيد

يستخدم الحديث الشريف طريقة التصوير في التعبير عن مختلف موضوعاته، وهذا التصوير جميل وحيوي ومؤثر، يضفي على البيان النبوي روعة وجاذبية.

ومعنى التصوير هو أن البيان النبوي يعرض الموضوع بطريقة تصويرية متخيلة، ويجعلها قاعدة التعبير البياني فيه، فعندما يقرأ القاريء الحديث ترتسم في خياله صورة فنية متخيلة للموضوع الذي يتناوله الحديث، فكأن القاريء يرى أمام عينيه صورا ومشاهد معروضة على شاشة خياله، فيتأثر بها ويتفاعل معها؛ ولذا فقد كان للصورة مهمة جليلة في توصيل الفكر والتأثير الوجداني.

وبما أن الصورة ركن تعبيري في الحديث النبوي؛ فقد حق لنا النظر إليه على أنه الفن المعاصر لكل عصر، وكل يتذوقه بحسب قدراته الفنية و ثقافة زمانه، كما أن الصورة في البيان النبوي قد اكتسبت عناصر الجمال الفني من البلاغة النبوية العامة التي أحيطت برعاية الخالق عز وجل، فضلا عن البيئة الفصيحة التي عاش في كنفها ــ صلى الله عليه وسلم.

واكتسبت هذه الصورة جمالها المعنوي والروحي من كونها معبرة عن رسالة سماوية هي الأحق بالسمو، وهي كبرى الحقائق في الوجود، فالمضامين الشريفة الرفيعة هي التي تطلبت قالبا رائعا جاء ملائما لما ينضوي تحته من الدعوة إلى الله، كما يقول الدكتور محمد مندور: "إن مضمون العمل الفني وهدفه يوجه الأديب نحو اختيار المبادئ الفنية الأكثر مواتاة لرسم تلك الصورة"(١).

ومن يقرأ الصورة في البيان النبوي يجد العفوية في معالمها ومفاصلها الطرية، ويجد الندى، ولا يجد الصخر المنحوت، ويلمح العفوية وفاعليتها في

(١) الأدب وفنونه، د/ محمد مندور ص١٤٤، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ١٩٧٧م.

تسربها إلى النفس، فليس ثمة قسر، بل انهمار ندي؛ إذ تخرج الصورة بداهة، وتتلقفها الأنفس بداهة، وإن لم تستطع فهمها بدقة لأول وهلة في بعض الأحيان، فإنها شفافة مطيعة لينة العراك أمام من يفتش عن وجه جمالها(١).

وتعتمد الصور في البيان النبوي عنصر الحسية من المرئيات مما يعد فضيلة لها لا مأخذا عليها، ولم يكن يعني هذا الصنيع قطع الصلة بالشعور، فهو صورة محافظة على حرارتها وتدفق إشعاعاتها النفسية والفنية؛ وذلك لأنها صدرت من صندوق يحمل رسالة سماوية، ولأنها بعيدة ــ أيضا ــ عن إسار التقليد، ومهامه الابتذال اللذين يبقيان الصورة في إطار الحواس، ولا يجعلانها تتغلغل في حنايا النفوس.

وعناصر تلك الصور من الواقع والمشاهدات، كما أنها لا تقوم على قنص وترف ذهنيين، بل واءمت بين الوضوح والتأثير الوجداني في صيغ تركيبية فنية تزيد في فاعليتها.

وقد جاءت الصورة في الحديث النبوي إضاءات فنية داخل النسيج العام الجمالي الكلي، وساعدت على كشف المعنى فارتبطت به ارتباطا وثيقا، ولم يكن القصد من التصوير في البيان النبوي مجرد توالي الصور، مما يشكل تعتيما، فالتقرير بإزاء الصورة؛ إذ لا غنى عنه لاستجلاب المتلقي، خصوصا أن البيان النبوي "حريص كل الحرص على عناية المتلقي وفهمه وإدراكه حدود المعاني؛ لأن الفن الحديثي قالب الدين وهو أحق من غيره بأن يكون قريبا من قلوب الناس، متفاعلا مع الأفهام والمشاعر"(٢).

---

(١) ينظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، د/ أحمد ياسوف ص١٣٢، دار المكتبي – سورية ، الطبعة الثانية ١٤٢٧ه = ٢٠٠٦م.

(٢) الصورة الفنية في الحديث النبوي ص١٩٢.

وقد احتوى الحديث النبوي على مادة جمالية تصويرية ثرة تخضل بإثارة الخيال والعاطفة؛ وذلك لاتكائه على البعد الديني وذكر الأوصاف الغيبية التي تعد حقائق طريفة في الماهية والكم، وقد توزع هذا في أوصاف النعيم والجحيم، وفي القصص النبوية، وفي الحديث عن الفتن وأشراط الساعة، وقد اقتصرنا في بحثنا هذا على الشواهد النبوية في الحديث عن الفتن فيما اتفق عليه الشيخان، و نحيل القارىء إلى كتب الحديث النبوي الصحاح والسنن والكتب التي تعنى بالفضائل وغيرها.

المحور الأول

" بلاغة التصوير بالتشبيه "

تعددت صور التشبيه التي وردت في الحديث عن الفتن وتنوعت صياغتها، وكان لكل صورة ملمح خاص وغرض دقيق جاء لتوضيحه وإبرازه.

وقد وردت أول صورة من تلك الصور في الحديث الذي روته أم المؤمنين زينب بنت جحش ــ رضي الله عنهاــ أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ دخل عليها فزعا يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: نعم إذا كثُر الخبث"(١).

وأول ما يسترعي انتباهنا في هذا الحديث أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد شبه ما فتح من ردم يأجوج ومأجوج بمقدار حلقة الإصبع ــ الإبهام والتي تليها ــ في قوله "مثل هذه"، ووجه الشبه هو الضيق والاستدارة في كل.

وهذا التشبيه يدل على كثرة الشرور التي تنزل بأمة المسلمين عموما والعرب على وجه الخصوص من وراء هذا الفتح، وتتابعها، فإذا كانت هذه هيئة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحاله بسبب فتح ضيق من هذا السد، فكيف يكون حال أمته إذا اتسع الفتح؟ وما نوع الشدائد والمصائب التي ستنزل بأمته؟!

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب: يأجوج ومأجوج، حديث رقم٧١٣٥، ٦١/٩، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، حديث رقم٢٨٨٠، ٢٢٠٧/٤، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي–بيروت، (د. ت).

التشبيه ــ هنا ــ يبين مقدار المشبه، فالخرق لم يتسع، والفجوة لم تعظم، وباب التوبة والإنابة لا يزال مفتوحا، فعلى كل عاقل أن ينأى بنفسه عن الشهوات، وأن يبتعد عن المحرمات؛ لأن هؤلاء القوم إذا استطاعوا فتح الردم فلن يكون هناك توبة ولا عودة؛ كما قال تعالى " ..... يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ... " (١).

وقد ذكر المشبه به مبهما "هذه"، ثم وضحه وبينه بتلك الإشارة الجسمانية "وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها"، وهذا نوع من إثارة التشويق والترقب والانتظار والتنبه لدى السامع.

ذلك أنه من المعلوم أن المشبه به إذا ورد على النفس هكذا مبهما تطلعت نفس السامع إلى ما يكشف هذا الغموض، ويزيل هذا الإبهام، فإذا وقفت بعد ذلك على إيضاح هذا المبهم وتفسير هذا الغامض كان له وقع حسن في النفس ولذة في القلب، وهذا يؤدي إلى تمكين المعنى وتقريره في النفس؛ لأن المعنى ــ حينئذ ــ يُرى في صورتين ويبرز في معرضين، كلاهما يؤكد الآخر ويقرره.

ومجيء المشبه به اسم إشارة للقريب "هذه" للدلالة على حقارة شأن هذا الفتح وضآلته وخفائه، ومع ذلك فإنه يأتي من ورائه كل هذا الشر المستطير، وهذا أدعى لاتخاذ الحيطة والحذر.

ولا يخفى ما وراء التعبير بتلك الحركة الجسمانية من تجسيد صورة الخرق وتصويره بصورة شاخصة للعيان، حتى كأن السامع يرى ويشاهد، وهذا فيه من تقرير المعنى وتوكيده ما لا يخفى على متأمل؛ لأن الخبر ليس كالمعاينة.

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٥٨.

ومما يدل على ذلك ويومئ إليه تعجب أم المؤمنين زينب ــ راوية الحديث ــ واندهاشها حين قالت أنهلك وفينا الصالحون ؟! فأجابها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بإجابة قاطعة مانعة: نعم، إذا كثر الخبث.

فانتشار الفسوق والفجور وكثرة أولاد الزنا سبب أصيل في عموم الإهلاك وشموله للصالحين والطالحين؛ ولذا قال العلماء بأن "الخيِّر يهلك بهلاك الشرير إذا لم يغير عليه خبثه، وكذلك إذا غير عليه لكن حيث لا يجدي ذلك، ويصر الشرير على عمله السيء، ويفشو ذلك ويكثر حتى يعم الفساد، فيهلك حينئذ القليل والكثير، ثم يحشر كل أحد على نيته"(١).

وإنما عبر في طرف المشبه بالفعل "فُتح" – المبني للمفعول– للدلالة على تعيين الفاعل، وأنه مما لا يخفى؛ بدلالة ذكره في رواية أبي هريرة بعد ذلك: "فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا...." (٢)؛ ولاختلاف المقامين – أيضا، فمقام حديث زينب مقام ضيق وفزع؛ بدلالة قولها: أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ دخل عليها فزعا يقول: لا إله إلا الله .... الحديث، وهي مقامات تجنح النفس فيها إلى الإيجاز واقتضاب العبارة، ومن ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول.

وأما حديث أبي هريرة فليس فيه ما يدل على هذه الحال، ومن ثم جاء الكلام على الأصل بذكر الفاعل.

كما أن التعبير بالماضي "فتح" فيه دلالة على تحقق الفتح ووقوعه، وعبر بـ "الردم" بدلا من "السد"؛ لما فيه من التعظيم والتفخيم، فالردم أعظم من السد وأقوى منه.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٠٩/١٣، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج، حديث رقم ٣٣٤٧، ١٣٨/٤.

إن كلمة الردم ــ هنا ــ تناسب المقام والسياق الذي وردت فيه، وتصوره أبلغ تصوير؛ فالردم ــ وهو السد العظيم ــ هو الذي يتلاءم مع الأهوال والشدائد والمصائب التي تصيب المسلمين من فتح هذا الردم، وخروج يأجوج ومأجوج ليعيثوا في الأرض فسادا، ولا يفرقون بين صالح وطالح.

ومن الملحوظ أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال في الحديث الأول: "مثل هذا"، بينما جاء التعبير في الحديث الثاني بقوله: "مثل هذه".

ولعل التعبير باسم الإشارة العائد على المذكر "هذا" في حديث أبي هريرة؛ للدلالة على أنه ربما يكون قد ورد في مقام لاحق، ففيه دلالة على اتساع الفتح نوعا من الاتساع، ولعل هذا يستفاد من امتداد النفس بصوت الألف، ومن المفسر بعد ذلك؛ فإن العقد باليمين ربما يكون أكثر سعة من حلقة الإصبع ــ الإبهام مع التي تليها.

وأما التشبيه الثاني فقد ورد في حديث أسامة ــ رضي الله عنه ــ قال: " أشرف النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أطم من آطام المدينة، فقال: هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر"(١).

والمتأمل في بلاغة التشبيه في قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر" يثير اهتمامه ما وراءه من دلالة على كثرة الفتن وعمومها وتتابعها، وأنها لا تختص بطائفة دون طائفة، وفي هذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم، كقتل عثمان ــ رضي الله عنه ــ ويوم الحَرّة وغيره.(٢)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب آطام المدينة، حديث رقم ١٨٧٨، ٣/٢١، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، حديث رقم ٢٨٨٥، ٤/٢٢١١.

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر ١٣/١٣.

والتشبيه ــ هنا ــ تشبيه تمثيلي، أخرج الأمر المعقول ــ وهو هيئة انتشار الفتن وكثرتها وتتابعها ــ مخرج الأمر المحسوس الماثل للعيان، وهو مواقع القطر على الأرض وتتابعه.

وإخراج المعقول مخرج المحسوس سبب قوي من أسباب تأثير التمثيل في النفس، تحدث عنه الإمام عبد القاهر في أسراره، وفصل القول فيه، ذاكرا لذلك العديد من الشواهد، ومن ذلك قوله: "فإن الأوصاف التي يرد السامع فيها بالتمثيل من العقل إلى العيان والحس، وهي في أنفسها معروفة مشهورة صحيحة، لا تحتاج إلى الدلالة على أنها هل هي ممكنة موجودة أم لا؟ فإنها وإن غنيت من هذه الجهة عن التمثيل بالمشاهدات والمحسوسات، فإنها تفتقر إليه من جهة المقدار ..... فإذا رجعت إلى ما تبصر وتحس عرفت ذلك بحقيقته، وكما يوزن بالقسطاس"(١).

وقد زاد الأمر تشخيصا وتجسيدا التعبير بالفعل من الرؤية "لأرى"، فهي ماثلة حاضرة أمام عينيه يشاهدها وينظر إليها، وهذا فيه من التأكيد والتقرير ما فيه.

ويضاف إلى ذلك ــ أيضا ــ أنه جعل للفتن مواقع على سبيل الاستعارة المكنية، حيث شبهها بالحي العاقل الذي يتخذ موقعا ينزل فيه كالجنود مثلا.

ولا يخفى ما في هذه الاستعارة من إشارة إلى تمكن الفتن من تلك البيوت، وأنها ملازمة لها لا تبرح مواقعها لأنها متمكنة من بيوتهم أشد تمكن.

---

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني ص١٢٥، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.

وإنما قيد المشبه بقوله "خلال بيوتكم" للدلالة على عمومها وكثرتها وفشوها، وأنها لا تختص بطائفة دون طائفة.

كما أن تقييد المشبه بهذا الأمر فيه ملمح آخر وهو وجوب التأهب لتلك الفتن والاستعداد لها، وأن لا يخوضوا فيها، وأن يسألوا الله الصبر والنجاة من شرها.

والمقصود بالبيوت في قوله "بيوتكم" إنما هي بيوت المدينة بدليل ما جاء في صدر الحديث أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد أشرف على أطم من آطام المدينة.

وإنما اختصت المدينة بذلك "لأن قتل عثمان ــ رضي الله عنه ــ كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وصفين كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم في صفين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك، أو عن شيء تولد عنه"(١).

واختيار لفظ "القطر" في المشبه به فيه معنى التتابع والنزول بقوة، فالفتن تأتي متتابعة واحدة إثر أخرى، كما أن نزولها يكون قويا وشديدا فلا تمهل أحدا.

وشيء آخر وراء التعبير بهذا اللفظ ــ هنا ــ وهو إرادة التعميم؛ لأن القطر إذا وقع في أرض معينة عمها ــ ولو في بعض جهاتها ــ ولا يترك شيئا إلا وصل إليه وغمره، وكذلك الفتن تصيب الجميع.

ويلفتنا دقة تعبيره ــ صلى الله عليه وسلم ــ بجمع الكثرة في التشبيه "مواقع" وما يوحى به من كثرة الفتن وعدم حصرها، فالواجب عليهم أن يتوبوا قبل أن تهجم عليهم.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٣/١٣.

والإضافة في "مواقع الفتن" للتفخيم والتهويل من شأنها، وهذا غاية في التحذير من الفتن والخوض فيها، حيث جعل الموت خيرا من مباشرتها(١).

ومما يثير اهتمام المتأمل تعدد أدوات التوكيد في صدر هذه الصورة التشبيهية "إني لأرى" وما توحي به من تحذير النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأصحابه، وحرصه على نجاة أمته، بعدم وقوعهم في الفتن والانخراط في أسبابها، وعدم الخوض فيها.

والتناسق واضح بين طرفي التشبيه "المشبه والمشبه به"، فكلاهما عُرّف بالإضافة إلى معرف بالألف واللام، وهذا يحقق نوعا من تناغم الجرس وتجاوب الإيقاع في سياق الكلام.

وجاء التشبيه الثالث في حديث حذيفة ــ رضي الله عنه ــ حين قال: "كنا جلوسا عند عمر ــ رضي الله عنه ــ فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الفتنة قلت: أنا، كما قاله، قال: إنك عليه (أو عليها) لجرئ . قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي، قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر، قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين! إن بينك وبينها بابا مغلقا، قال أيكسر أم يفتح، قال يكسر، قال: إذا لا يغلق أبدا، قلنا: أكان عمر يعلم الباب، قال: نعم، كما أن دون الغد الليلة، إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط، فهبنا نسأل حذيفة، فأمرنا مسروقا، فسأله فقال: الباب عمر"(٢).

---

(١) جاء ذلك في حديث أبي هريرة: "ويل للعرب من شر قد اقترب، موتوا إن استطعتم". السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب: الفتنة التي تموج كموج البحر، رقم ٧٠٩٦، ٥٤/٩، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: الفتنة التي تموج كموج البحر، حديث رقم٢٨٩٣، ٢٢١٨/٤.

ففي قوله "الفتنة التي تموج كما يموج البحر" صورة تشبيهية قوية ومعبرة، حيث شبه الفتنة حالة كونها تموج وتضطرب بحالة البحر حين يموج ويضطرب، ووجه الشبه هو الاضطراب والشدة والتتابع في كل.

فالتشبيه ــ هنا ــ يدل على الاضطراب الشديد والهلع المفزع الذي تحدثه تلك الفتن، كما يموج البحر في اضطرابه وعدم استقراره.

فتشبيه تلك الفتن بموج البحر فيه معنى الإحساس بالرهبة والوجل ومواجهة هول مدمر مبتلع رهيب؛ لأن البحر فيه معنى القهر والعلو والابتلاع في بواطنه المظلمة السحيقة، لاشك أن تلك الفتن في ذلك الزمان ستكون قاهرة وغالبة.

وإيثار كلمة "الموج" في جانب المشبه به، للإيحاء بشدة الفتن واضطرابها وقوتها، وعدم القدرة على مواجهتها وردها والتصدي لها.

والتعبير بحالة البحر حين يموج فيه ملمح آخر وهو تتابع الفتن وتلاحقها، وعدم إمهالها الناس؛ لأن أصل الموج "ما ارتفع من الماء فوق الماء ... وتموج البحر: اضطربت أمواجه"(١).

فتلك الفتن لا تنتظر إذنا و لا تمهل أحدا حتى يأخذ حذره ويفيق من سباته العميق، فعلى كل عاقل أن يتأهب لها ويستعد لذلك الموقف العصيب بالابتعاد عنها وعدم التصدي لها أو الانجرار وراءها.

كما أن هذه الصورة التشبيهية تصور اختلاط الفتن وازدحامها وتدافعها، فما بالنا بحال الناس حينئذ؟! لا شك أن الجموع البشرية يختلطون ويضطربون في غير نظام وفي غير انتباه.

---

(١) لسان العرب لجمال الدين ابن منظور، ٣٧٠/٢، (موج)، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

ووراء تقييد "الفتنة" بالنعت – الموصول وصلته – "التي تموج" زيادة في التفخيم والتهويل من شأنها.

وتعريف "الفتنة" بـ "أل" التي تفيد الجنس، للدلالة على كمالها في الوصف، الأمر الذي يعود عليها بالتفخيم والتهويل ـ أيضا.

ويأتي بعد ذلك حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما كأن وجوههم المجان المطرقة، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر"(١).

فهذا الحديث صورة أخرى من جوامع كلمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحرصه على نجاة أمته، وتحذيره من الفتن التي تقع قبل قيام الساعة، فلعل هناك من يعمل عقله ويتبع هديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويسلك سبيل النجاة بالبعد عن تلك الفتن.

قوم يقاتلون المسلمين في آخر الزمان كأن وجوههم المجان المطرقة.

فقد شبه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجوه هؤلاء القوم في عرضها ونتو وجناتها بالترسة قد أُلبست الأطرقة.

وفي اختيار المشبه به ـ هنا ـ تصوير دقيق ورسم بارع لهيئة تلك الوجوه، فقد شبه وجوههم بالترسة لبسطها وتدويرها، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها.

ويلحظ أنه لم يكتف في رسم صورة تلك الوجوه بتشبيهها بالمجان فقط، وإنما أتبع المشبه به بوصف كان له الأثر البالغ في إبراز تلك الوجوه وتمييزها أكمل تمييز.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد و السير، باب: قتال الترك، حديث رقم ٢٩٢٧، ٤٣/٤، و أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم ٢٩١٢، ٢٢٣٣/٤.

فـ "المجان المطرقة" هي التي ألبست العقب شيئا فوق شيء، ومنه: طارق النعل إذا صيرها طاقا فوق طاق وركب بعضها على بعض، والطراق: حديد يعرض ويدار فيجعل بيضة أو ساعدا أو نحوه، فكل طبقة على حدة طراق [١].

فهذا الوصف أكد على أنهم عراض الوجوه غلاظها، كما أنها كثيرة اللحم ويتضح ذلك في نتوء وجناتها.

وتأمل دقة اختيار المشبه "وجوه" في هذه الصورة التشبيهية، ولم يذكر أوصافا أخرى لهؤلاء القوم، فقد اختار أبرز شيء وأوضحه، فالوجه عنوان الإنسان وبه يمتاز ويعرف، فإذا رآهم المسلمون عرفوهم وأخذوا حذرهم في الذب والدفاع عن دين الله.

كما أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد خص الوجوه بالذكر؛ لظهور علامات القوة والغلظة والشدة عليها.

ولقوة الشبه بين الطرفين جيء بأداة التشبيه "كأن" والتي لها خصوصية في التشبيه، فوجوه هؤلاء القوم شديدة الشبه بالمجان المطرقة، كما توحي بذلك هذه الأداة.

فالبلاغيون يقولون: إن "كأن" أقوى وأبلغ من الكاف في الدلالة على إلحاق المشبه بالمشبه به، ولذلك فهي تستعمل حيث يقوي الشبه، حتى يكاد الرائي أو السامع يشك في أن المشبه هو المشبه به دون غيره[٢].

---

(١) ينظر: لسان العرب ٢٢٠/١٠ (طرق).

(٢) راجع: دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ص٢٥٨، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ =١٩٩٢م، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ٣٩١/٣، دار الإرشاد الإسلامي- بيروت، (د. ت).

ثم إن هناك أمراً آخر زاد هذا الأمر وضوحا وبيانا، وجعل المشبه كأنه المشبه به، وهو تعريف المشبه به بأداة التعريف "أل"، ولم يقل مثلا: "كأن وجوههم مجان مطرقة"....

فمجيء المشبه به معرفا - بما في ذلك من دلالة على القصر والاختصاص، كأن هذه الصفة لا تتعداهم إلى موصوف آخر، وكأنها لم تبلغ مبلغ الكمال إلا في وجوههم، ولا تعرف على وجهها إلا فيهم - جعل التشابه قويا والصلة واضحة بين وجوه هؤلاء القوم وبين المجان المطرقة.

كما أن في اختيار المشبه به ــ هنا ــ دليلا على شدة بأسهم وقوتهم وغلظهم، فالتقييد يوحي بهذه المعاني.

ثم تأمل شدة الترابط والتآلف بين عناصر الصورة التشبيهية وبين السياق الذي وردت فيه، فهذا الحديث جاء في باب الفتن وتحذيره ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الكافرين الذين يكيدون للإسلام ويتربصون بالمسلمين الدوائر؛ ولذلك وصفهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصفا دقيقا، حتى يستطيع المسلمون مجابهتهم والذب عن دين الله.

ولما كان السياق سياق قتال جاء بكلمة "مجن" ــ وهي الترس الذي يضعه المحارب فوق رأسه يتقي به ضربة العدو ــ لتكون متمكنة في موضعها أشد تمكن، غير قلقة ولا نابية، ولا يخفى أن هذه الصور لا تكون إلا من المعصوم ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي لا ينطق عن الهوى.

وبذلك نستطيع أن نقول: إن عناصر تلك الصورة قد تضافرت وتآزرت في رسم صورة تلك الوجوه وإبرازها وإيضاحها حتى لا يكون هناك غافل أو مغيب عندما تنزل علامات الساعة، ويكون التأهب والاستعداد هو السمة البارزة لحال المسلمين في هذا الوقت.

ولا يخفى ذلك التباعد الشديد بين طرفي التشبيه ــ المشبه والمشبه به ــ فأين الوجوه من المجان المطرقة، ولكن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد جمع بينهما على نحو لا تجد له في كلام البشر نظيرا، حتى لكأنك ترى وجوههم هي نفسها المجان المطرقة، وهذا يذكرنا بقول عبد القاهر في تعليقه على بيت عدي بن الرقاع :

تزجي أغن كأن إبرة روقه ∴ قلم أصاب من الدواة مدادها

حيث يقول: "قال جرير: أنشدني عدي: "عرف الديار توهما فاعتادها"، فلما بلغ إلى قوله: "تزجي أغن كأن إبرة روقه" رحمته وقلت قد وقع، ما عساه يقول وهو أعرابي جلف جاف؟ فلما قال: "قلم أصاب من الدواة مدادها " استحالت الرحمة حسدا، فهل كانت الرحمة في الأولى، والحسد في الثانية، إلا أنه حين رآه افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له في أول الفكر وبديهة الخاطر، وفي القريب من محل الظن شبه، وحين أتم التشبيه وأداه صادفه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف، وعثر على خبيء مكانه غير معروف"(١).

ويأتي بعد ذلك حديث ابن عمر الذي جاء فيه أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذكر الدجال بين ظهراني الناس، فقال: "إن الله ــ تعالى ــ ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافئة"(٢).

فتنة الدجال فتنة أخرى يحذر منها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمته، فالدجال يدعي الألوهية، ويأتي بخوارق تخدع السذج والعوام، ويفتن بها ضعاف الإيمان.

---

(١) أسرار البلاغة ١٥٣و ما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها"، حديث رقم ٣٤٣٩، ١٦٦/٤، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم ٢٩٣٣، ٢٢٤٧/٤.

ولم يكن رسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ بدعا في التحذير من الدجال، فلم يبعث الله نبيا إلا أنذر قومه المسيح الدجال، من لدن نوح إلى نبينا ــ صلى الله عليه وسلم.

وقد وصفه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بوصف لا يخفى على ذي عينين، فكيف بأولئك المؤمنين الذين يتبعون هديه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويسيرون على نهجه؟! إن صورة الدجال وهيأته تكون راسخة في أذهانهم، عالقة بعقولهم.

ولا يخفى أن قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "كأن عينه عنبة طافئة" فيه تشبيه عين الدجال في ظهورها وارتفاعها ونتوئها بالعنبة الطافئة؛ لأن الطافئة من العنب هي التي قد "خرجت عن حد نبتة أخواتها من الحب، فنتأت وظهرت وارتفعت"[1].

وقد يكون وجه الشبه ــ هنا ــ هو العلو والظهور، حيث يشبه عينه بالحبة التي تطفو على وجه الماء، ومنه الطافي من السمك؛ لأنه يعلو ويظهر على رأس الماء، وطفا الثور الوحشي على الأكم والرمال.

المهم أن عين الدجال أوضح ملمح في وجهه، وأبرز شيء فيه، ففيها ارتفاع وظهور يمكن تمييزه بطريقة ليس فيها جهد ولا إعمال عقل، حتى يأخذ الناس حذرهم، فلا يسلكون دروبه ويفتنون به.

وهذا التوجيه على كون كلمة "طافية" غير مهموزة، وقد رويت ــ أيضا ــ بالهمز، فيكون وجه الشبه بين عينه وبين العنبة الطافئة هو ذهاب الضوء في كل.

---

(١) لسان العرب ١٠/١٥ (طفو).

على أنه قد ورد في حديث آخر"أنه ممسوح العين مطموسة، وليست حجرا ولا يابسة"(١)، وهذه صفة حبة العنب إذا سال ماؤها، وهذا يقوي رواية الهمز.

ومن العلماء من حاول الجمع بين الأحاديث والروايات في الطافية بالهمز وبتركه، وأعور العين اليمنى واليسرى؛ لأن كل واحدة منهما عوراء، فإن الأعور من كل شيء المعيب – لاسيما ما يختص بالعين – وكلتا عيني الدجال معيبة عوراء، إحداهما بضوئها والأخرى بعيبها(٢).

ولشدة الشبه ووضوحه بين عين الدجال وبين العنبة الطافية جاءت الصورة مصدرة بأداة التشبيه "كأن"، والتي لا تأتي إلا حين يقوى الشبه ويشتد بين الطرفين. فالتشبيه بـ"كأن " فيه من المبالغة والتأكيد ما لا يكون مع "الكاف"؛ لذا فهي تستعمل حيث يقوى الشبه، حتى يكاد الرائي يعتقد أن المشبه هو المشبه به لا غيره.

فالمبالغة في التشبيه بـ "كأن" ناشئة "عن تقديم الكاف وصيرورة المشبه داخلا في جنس المشبه به، وفردا من أفراده بحكم الإخبار بالمشبه به عن المشبه، وأكد هذا الإثبات مجيء (أن)، والإعلام من أول الأمر عن طريق تقديم الكاف بأن عقد الكلام على التشبيه، فتمت المبالغة في التشبيه، وتأكيده بهذه الطرائق تأكيدا لا يكون مع الكاف"(٣).

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٩٧/١٣ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ٩٧/١٣، وعمدة القارى شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني ٢٣/١٦، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ودليل الفالحين لطريق رياض الصالحين لمحمد على البكري الصديقي ٦٤٢/٨، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، الطبعة الرابعة ٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

(٣) أدوات التشبيه دلالاتها استعمالاتها في القرآن الكريم، د/محمود موسى حمدان ص١٩٠، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

وتأمل ما وراء الإظهار في موضع الإضمار في قوله "كأن عينه"، وما فيه من تأكيد على ذكر لفظ العين مرة أخرى، فعين الدجال سمة بارزة وملمح واضح لا ينبغي أن تخفى على أحد من المؤمنين.

فهذه الصورة التشبيهية فيها تبشيع لهيئته وقبح منظره، وتنفير من النظر إليه، فضلا عن تصديقه واتباعه والافتتان به.

التشبيه ــ هنا ــ يؤكد على أن أوصاف الدجال تتنافى مع صفات الألوهية، وتبرز كذبه و ادعاءه، فعلى المؤمنين أن ينفروا منه ويفروا من تدليسه وتلبيسه.

ومن التصوير بالتشبيه – أيضا – ما جاء في حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم: "ألا أحدثكم حديثا عن الدجال، ما حدث به نبي قومه، إنه أعور، وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار، وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه"(١).

فهذا الحديث يشير إلى تحقيق خروج الدجال وعدم الشك في هذا الأمر، وقد تعددت صور التشبيه ــ هنا ــ لتصور كثرة فتنه وخطورة الابتلاء به، وأن الأنبياء السابقين قد أنذروا أقوامهم وحذروهم من خطر تلبيسه وتدليسه.

وأول هذه التشبيهات جاء في قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار"، فإنه تشبيه صريح، حيث شبه ما معه من الفتن بالجنة والنار.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: "إنا أرسلنا نوحا إلى قومه" إلى آخر السورة، حديث رقم ٣٣٣٨، ١٣٤/٤، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم ٢٩٣٦، ٢٢٥٠/٤.

وهذه الصورة التشبيهية فيها دلالة على قوة المشابهة بين الطرفين؛ بدلالة أداة التشبيه؛ الأمر الذي يدل على عظم الفتنة وشدة الابتلاء، بحيث يصعب تمييزه إلا من المؤمنين الخلص.

كما أن هذه الصورة تشير إلى تلك الفتن التي يخرج بها على الناس، ويتخذها سبيلا للوصول إلى مآربه في نشر الفوضى وخداع الناس، وردهم عن دينهم، ففتنته عظيمة، تدهش العقول وتحير الألباب، مع سرعة مروره في الأرض.

ويأتي التشبيه الثاني في قوله – صلى الله عليه وسلم: "وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه".

فهذا التشبيه فيه دلالة على عظم الأمر وصعوبة البلاء؛ ومن ثم خص ــ صلى الله عليه وسلم ــ نوحا بالذكر؛ فإنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ مقدم المشاهير من الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ كما قدمه في قوله تعالى: " شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ...."[١].

وفيه ملمح آخر، وهو الدلالة على تمحض النصيحة، فنوح ــ عليه السلام ــ من أولي العزم، وأطول الأنبياء عمرا، وأكثرهم دعوة واستغفارا لقومه، وفيه دلالة على ذيوع أمر الدجال وانتشار ذكره، وأنه ضارب بجذوره في أعماق التاريخ، وفي هذا كله إشارة إلى غاية شره وعظم بلائه وخطورة فتنته، ويؤيد هذا ما جاء في الآثار من أن فتنة الدجال هي أعظم فتنة تنزل بالأرض من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة[٢].

---

(١) سورة الشورى : الآية ١٣.

(٢) ينظر: سنن ابن ماجة حديث: "إنه لم تكن فتنة في الأرض، منذ ذرأ الله ذرية آدم، أعظم من فتنة المسيح الدجال، وإن الله لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال.... " ١٣٥٩/٢.

وتقديم الجار والمجرور "به" على الفاعل فيه دليل آخر على أن الاهتمام منصرف إلى ذكر الدجال وأن العناية متجهة إلى تحذير الناس من خطره وفتنته.

ويأتي بعد ذلك حديث المغيرة بن شعبة، قال: "ما سأل أحد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الدجال ما سألته، وإنه قال لي: ما يضرك منه، قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء، قال: هو أهون على الله من ذلك"(١).

فقوله ــ صلى الله عليه وسلم: "جبل خبز" من إضافة المشبه به للمشبه؛ حيث شبه ما معه من الخبز بالجبل في كثرته ووفرته وضخامته.

فالتشبيه ينبئ عن كثرة ما معه من المغريات وما يستصحبه من الفتن، وفي هذا إيحاء بعظم البلاء وشدة الفتن، كما أن هذه الصورة توحي بالجدب والفاقة الذي يعم الأرض قبل ظهور الدجال وخروجه.

وبرهان هذا الإيحاء و قرينته من حديث الجساسة الذي روته فاطمة بنت قيس "لما سأل الدجال تميما الدراي عن نخل بيسان، فقال تميم ومن معه: عن أي شيء تستخبر؟ فقال: أسألكم عن نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم، قال: أما إنه يوشك أن لا يثمر، قال: أخبروني عن بحيرة طبرية، قلنا: عن أي شيء تستخبر؟ قال: هل فيها ماء ؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب..."(٢).

فهذا التشبيه يصف كثرة الطعام والشراب الذي مع الدجال، ومحاولاته المتعددة والمتنوعة فتنة الناس وردهم عن دينهم، لكنه أهون على الله من أن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال، حديث رقم ٧١٢٢، ٥٩/٩، و أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في الدجال وهو أهون على الله عز وجل، حديث رقم ٢٩٣٩، ٤/ ٢٢٥٧ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: قصة الجساسة، حديث رقم ٢٩٤٢، ٢٢٦٢/٤.

يجعل ما يخلقه على يديه مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوب المنافقين، بل ليزداد الذين آمنوا بربهم إيمانا، ويرتاب الذين في قلوبهم مرض.

ففائدة تمكينه من هذه الخوارق امتحان العباد، فالدجال شخص بعينه ابتلى الله عباده به، وأقدره على أشياء من مقدورات الله – تعالى – من إحياء الميت، واتباع كنوز الأرض له، وإنبات الأرض بأمره، ثم يعجزه الله – عز وجل – بعد ذلك، فلا يقدر على شيء من هذه الأمور.

ومن التشبيه بالحركة الجسمانية ما ورد في حديث سهل بن سعد ــ رضي الله عنه ــ قال: "رأيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال بإصبعيه هكذا – بالوسطى والتي تلي الإبهام: بعثت والساعة كهاتين"(١).

فحاصل الحديث تقريب أمر الساعة وبيان سرعة مجيئها، وأن نسبة تقدم البعثة النبوية على قيام الساعة كنسبة تقدم إحدى الأصبعين على الأخرى.

والتشبيه بالحركة الجسمانية التي عقدها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بإصبعيه يوحي بغاية قرب وقوع الساعة، ودنو وقت مجيئها، وأنه في أثر بعثة النبي ــ صلى الله عليه وسلم، وأن تلك المدة الزمنية التي مضت منذ بعثة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى يومنا هذا لا تعد في حساب الدهر شيئا؛ بدلالة قوله ــ تعالى: "وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون" (الحج:٤٧).

وتصوير أمر الساعة على هذا النحو فيه من إيقاظ الغافلين، وحثهم على التوبة والاستعداد ما فيه، فعلى الناس أن يقبلوا على نبذ الشرك، وعلى الاستكثار من الأعمال الصالحات، واجتناب الآثام لقرب يوم الجزاء.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب: "يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا"، حديث رقم ٤٩٣٦، ١٦٦/٦، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن و أشراط الساعة، باب: قرب الساعة، حديث رقم ٢٩٥٠، ٢٢٦٨/٤.

وإنما أخفى سبحانه أمر الساعة؛ لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك، فإنه أدعى إلى الطاعة وأقوى في الزجر عن المعصية، كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك.

والناظر في هذا التشبيه مرة أخرى يجد أن فيه تأكيدا من طرف خفي على ختم النبوات به ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنه ليس بينه وبين الساعة نبي، كما أنه ليس بين السبابة والوسطى إصبع أخرى.

ولا يلزم من ذلك علم وقتها بعينه، لكن سياقها يفيد قربها، وأن أشراطها متتابعة، كما قال تعالى: " فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَآ " [١].

ثم يأتي بعد ذلك حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم: "ما بين النفختين أربعون، قال: أربعون يوما، قال: أبيت، قال أربعون شهرا، قال: أبيت، قال: أربعون سنة، قال: أبيت، قال: ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا، وهو عجب الذنب، ومنه يُركّب الخلق يوم القيامة"[٢].

فقوله ــ صلى الله عليه وسلم: "ينبتون كما ينبت البقل" تشبيه صريح، حيث شبه إنبات جسد الإنسان وإعادته مرة أخرى بإنبات البقل، وهو كل نبات اخضرت به الأرض.

---

(١) سورة محمد : الآية ١٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله "يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا"، حديث رقم ٤٩٣٥، ٦/١٦٥، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، حديث رقم ٢٩٥٥، ٤/٢٢٧٠.

على أن وجه الشبه بين إنشاء الإنسان وإنبات النبات من حيث إن كليهما تكوين، كما قال تعالى: " وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا "(١)، أي: أنشأها، وكما يقولون: زرعك الله للخير.

ويزيد وجه الشبه ــ هنا ــ قربا من حيث إن إنشاء الإنسان مركب من عناصر الأرض، فبدؤه ونشؤه من التراب، وإنه ينمو نمو النبات(٢)، وإن كان للإنسان وصف زائد على النبات، وعلى هذا نبه بقوله: " هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ "(٣).

فهذه الصورة تشير إلى أن الإنسان مخلوق من عناصر الأرض مثل النبات، وتؤكد على إعلامهم بأن بعد الموت حياة أخرى.

والتعبير عن نشأة الإنسان من الأرض بالإنبات، وإعادته منها مرة أخرى؛ تعبير دقيق مصور، وملمح عجيب يستدعي النظر ولا ريب، فهذا التعبير يوحي بالوحدة بين أصول الحياة على وجه الأرض، وأن نشأة الإنسان من الأرض كنشأة النبات، من عناصرها الأولية يتكون، ومن عناصرها الأولية يتغذى وينمو، فهو نبات من نباتها وهبه الله هذا اللون من الحياة كما وهب النبات ذلك اللون من الحياة، وكلاهما من نتاج الأرض.

وفي الإنبات الأولى استعارة تبعية، حيث استعير الإنبات لإعادة الأجساد وإنشائها مرة أخرى، فيؤدي التذكر إلى أنه لا فرق بين الإنباتين؛ إذ كل واحد منهما إعادة للشيء بعد إنشائه.

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٧.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٧٨٧(نبت)، تحقيق : صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(٣) سورة غافر : الآية ٦٧.

وكانت هذه الاستعارة أدل على الحدوث؛ لأنهم إذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات، ومنه قيل للحشوية: النابتة والنوابت؛ لحدوث مذهبهم في الإسلام من غير أولية لهم فيه.

والتعبير بالإنبات ــ هنا ــ فيه دلالة على السرعة، وأنه أمر هين على الله ــ سبحانه وتعالى ــ ولذا خص البقل بالذكر؛ لما فيه من معنى السرعة، "فالبقل: اسم لكل ما ينبت أولا، ومنه قيل لوجه الغلام أول ما ينبت: قد بَقَل يبقُل بُقُولا وبَقْلا، وبقل ناب البعير، أي: طلع"(١).

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٢٧٥/١، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر– بيروت، ١٣٩٩هـ =١٩٧٩م.

المحور الثاني

"بلاغة التصوير بالمجاز في الحديث عن الفتن"

ويشتمل على ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول

"بلاغة التصوير بالاستعارة"

كثر التصوير بالاستعارة في الحديث عن الفتن كثرة لافتة، وهذا يرجع إلى طبيعة الاستعارة في التشخيص والتجسيد، وهي طبيعة تتناغم مع مقامات الفتن؛ فإنها تتطلب قدرا كبيرا من الظهور والوضوح؛ تصويرا لخطورة الفتن، وتجسيدا لأثرها في النفس و المجتمع؛ أخذا للحيطة والحذر، وتجنبا لمعاقرة الفتن، والانجراف إلى طريقها.

وقد جاء ذلك في عدد من المواضع التي يأتي في أولها الحديث الذي رواه أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ حيث يقول: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم: "ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به"(١).

هذا الحديث حافل بالصور الاستعارية الرائعة؛ فقد تعددت فيه الاستعارات وتنوعت، وكانت ملمحا بارزا في رسم أحداثه وتحقيق الغرض منه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب: تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، حديث رقم ٧٠٨١، ٥١/٩، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن و أشراط الساعة، باب: نزول الفتن كمواقع القطر، حديث رقم ٢٨٨٧، ٢٢١١/٤.

وأول هذه الاستعارات جاء في قوله: "ومن يشرف لها تستشرفه"، فهذه العبارة فيها استعارة مكنية، حيث صورت الفتنة بوحش مترصد متربص يستشرف فريسته ليوقع بها ويقضي عليها.

ولا يخفى ما في هذه الاستعارة من مبالغة في تصرف الفتن تصرف الوحش الذي يتربص لفريسته، ويتحين لها الوقت المناسب؛ للانقضاض عليها والنيل منها.

وإيثار التعبير الاستعاري ــ هنا ــ فيه إيماء ــ أيضا ــ إلى أن الجزاء من جنس العمل، فمن انتصب للفتن انتصبت له وأهلكته، ومن أعرض عنها أعرضت عنه.

وراجع دلالة "السين والتاء" في قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "تستشرفه" وما فيها من إشارة إلى قوة الطلب وسرعة الأخذ، فالفتن لا تمهل من ينتصب لها ويتعرض إليها، ولكنها تجابهه بشرها وشدائدها.

واقتران جواب الشرط بفعل الشرط ــ دون فاصل يذكر ــ فيه إيحاء بالأخذ على وجه السرعة ــ أيضا ــ ودون مهلة أو تردد، فمن طلع للفتن بشخصه قابلته بشرها.

وتأمل مرة أخرى ما وراء القيمة البلاغية للصورة الاستعارية ــ هنا ــ وما فيه من دلالة على قوة الأخذ وشدته، وكأنها لا تمهل من يشرفها وينتصب لها، وإنما تصرعه وتهلكه.

وكلمة "تستشرفه" كلمة مكونة من سبعة أحرف ــ وهي كلمة طويلة نوعا ما ــ ، ويتوسطها حرف الشين وما فيه من صفات التفشي والانتشار، وكأنها تشير إلى علو قدم الفتنة وشمولها، وسرعة انتشارها في كل اتجاه، وعلى كافة الأصعدة، وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة.

وبالنظر في أصوات حروف هذه الكلمة مرة أخرى وما فيها من صعوبة في النطق بها، يجد أنها تتناسب مع صعوبة موقف من يعيش تلك الفتن ويحاول مجابهتها والتصدي لها.

وتأتي الصورة الاستعارية الثانية مكملة للأولى ومقوية لها، وذلك في قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذبه"، حيث استعار "الملجأ" ــ وهو الموضع الذي يلتجأ إليه ويعتزل فيه ــ لما يعصم من الفتنة ويحفظ منها.

ولا يخفى أن الاستعارة ــ هنا ــ استعارة تصريحية أصلية، وفيها دلالة على قوة التحصن وشدة المنعة.

هذه الاستعارة تعد ترشيحا للاستعارة التي سبقت؛ لأن العدو إذا كان في أثر فريسته فإنها لا تنفك تبحث عن ملاذ ينقذها ويحميها منه؛ لتسلم من شره، وتأمن من بطشه.

والمتأمل في تلك الصورة يلحظ أن سبل النجاة لم تقتصر على شيء بعينه، وأن الملجأ والمعاذ قد يتحقق بأمور كثيرة ...

فالنجاة من تلك الفتن قد يكون بالعزلة والابتعاد عن الناس،وعدم المشاركة في الفتن، بل وبعدم الاقتراب منها، بدليل ما جاء في صدر الحديث "ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ....".

ومن ذلك ــ أيضا ــ الاعتصام بالكتاب والسنة؛ إذ لا شك أن فيهما الملجأ والملاذ والمعاذ من تلك الفتن وشرورها.

والتعبير بالفعل "وجد" في صدر الصورة فيه حث على البحث والطلب، ودلالة على سرعة البعد عن الفتن وعدم التعرض لها.

والتنكير في "ملجأ" و"معاذ" فيه معنى النوعية، والمقصود: من وجد أي نوع من ملجأ أو معاذ فليلجأ إليه وليعذبه، وفيه حث للمسلم على الابتعاد عن الفتن وأن يتلمس سبل النجاة منها.

وحرف العطف "أو" في تلك الصورة قد يحمل على الإباحة، فهول الموقف وشدته يبيح لمن وجد ملجأ أو معاذاً أن يتحصن به ويبتعد عن تلك الفتن وأهوالها.

وقد يحمل على الإضراب ــ أيضاــ للترقي من الأعلى إلى الأدنى، مبالغة في الحث على طلب التماس النجاة من الفتنة وعدم استشرافها.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك من العلماء من سوى بين "الملجأ" و"المعاذ" في المعنى[١]، إلا أن المتأمل في أصل الكلمتين يلحظ فرقا جوهريا بينهما، فالملجأ فيه معنى التحصن والاعتضاد و المنعة، يقول ابن منظور: لجأت إلى فلان، والتجأت، وتلجأت: إذا استندت إليه واعتضدت به.... ويقال: ألجأت فلانا إلى الشيء: إذا حصنته في ملجأ"[٢].

وأما المعاذ ففيه معنى الاعتصام والملاذ، يقول ابن منظور: "عاذ به يعوذ عوذا وعياذا ومعاذا: لاذ به واعتصم ..."[٣].

فكلمة "ملجأ" أقوى دلالة وأشد تصويرا من كلمة "معاذ" في هذا المقام؛ ولهذا قلنا: إن المعنى يمكن حمله على الإضراب من هذه الجهة.

وجاءت الاستعارة التالية لتؤكد أنه لن يخرج شيء من تلك الفتن في حياة عمر ــ رضي الله عنه ــ وذلك في قوله: "إن بينك وبينها بابا مغلقا"[٤].

---

(١) ينظر : فتح الباري لابن حجر ٣١/١٣، وعمدة القاري ١٣٨/١٦.
(٢) لسان العرب ١٥٢/١(لجأ).
(٣) السابق نفسه ٤٨٩/٣ (عوذ).
(٤) سبق تخريج هذا الحديث ص

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

والمتأمل في تلك الصورة يلحظ أنه جعل للفتنة بابا على سبيل الاستعارة المكنية، حيث شبهها بالبيت الذي له أبواب ونوافذ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الباب.

الاستعارة ــ هنا ــ حققت المبالغة المقبولة والتخييل القوي، فالفتنة تشبه البيت الذي له باب، وهذا يؤكد من جهة أخرى أنها لا تزال محدودة ومخبوءة لم توقد نارها، ولم يشتعل أوارها، وأن عمر ــ رضي الله عنه ــ هو الحاجز المنيع والسد الحصين الذي يحول بينهم وبين الفتن، فإذا مات ــ رضي الله عنه ــ انتشرت الفتن وذاعت، بحيث لا يمكن السيطرة عليها.

وتقييد الباب بكونه مغلقا فيه دليل على إحكامه، وفي هذا زيادة طمأنة وتسكين وتأنيس لعمر ــ رضي الله عنه.

والناظر إلى وجود "إنّ" في صدر الجملة يجد أن فيها تأكيدا على أن عمر ــ رضي الله عنه ــ هو الباب الذي كان يحول بين الناس وبين الفتنة، وأن مقتله هو كسر الباب.

وهذه الصورة من دلائل نبوته ــ صلى الله عليه وسلم ــ فمنذ كسر الباب وقتل عمر لم يغلق حتى الآن ..... ولن يغلق حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وجاءت الاستعارة التالية في حديث ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أنه سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو مستقبل المشرق، يقول: "ألا إن الفتنة ههنا، من حيث يطلع قرن الشيطان"[١].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم: الفتنة من قبل المشرق، حديث رقم ٧٠٩٣، ٩/٣٥، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان، حديث رقم ٢٩٠٥،٤/٢٢٢٨.

والمتأمل في هذا الحديث يلحظ أن في قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "من حيث يطلع قرن الشيطان" استعارة أصلية، حيث استعار "قرن الشيطان" للشمس . وقرنا الرأس: فوداه وجانباه، ومنه سمي ذو القرنين، وذلك أنه ضرب على جانبي رأسه فلقب به[١].

وفي العدول عن الحقيقة إلى المجاز في هذا التعبير تنبيه إلى سبب الفتنة ومنشئها وأنها من الشيطان، فعلى المسلمين أن يبتعدوا عن الشيطان وغوايته بأن لا ينغمسوا في تلك الفتن وينجرفوا في دروبها، وأن يسلكوا سبيل الرشاد حتى تجتمع كلمتهم وتتحد قوتهم، ويكونوا يدا واحدة في مواجهة عدوهم.

هذه الاستعارة فيها دلالة ــ أيضاــ على قوة هذه الفتن وشدتها، فأول الفتن كان من قبل المشرق، وكان ذلك سببا للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة.

وتأمل ما في هذه الاستعارة من احتراز واحتراس، حيث لم تنسب الفتنة إلى الشمس بطريقة مباشرة، فالشمس آية من آيات الله، ولا يصح أن ينسب إليها شيء من الفتن وغيرها.

وإنما أشارــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى المشرق؛ لأن أهله يومئذ كانوا أهل كفر، فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية – وكذلك كانت – وهي وقعة الجمل ووقعة صفين، ثم ظهور الخوارج في أرض نجد والعراق وما وراءها من المشرق، وكانت الفتنة الكبرى ــ التي كانت مفتاح فساد ذات البين – قتل عثمان ــ رضي الله عنه.

---

(١) ينظر : لسان العرب ٣/٣٤٠ (فود).

على أنه من ناحية المشرق يخرج ــ أيضاــ يأجوج ومأجوج والدجال، وكان يحذر من ذلك ويُعلم به قبل وقوعه، وذلك من دلالات نبوتــه ــ صــلى الله عليه وسلم.

ومن العلماء من حاول أن يلتمس علاقة ويجد صلة بين الشمس وبــين قرن الشيطان، فذكر أن الشيطان إنما "يقابل الشمس حــين طلوعهــا وينتصــب دونها، حتى يكون طلوعها بين قرنيه ــ وهما جانبا رأســه ــ فينقلــب ســجود الكفار للشمس عبادة له"(١).

وثمت حديث آخر يشير إلى كثرة الفتن وتغير الزمان، حتى تعبد الأوثان. هذا الحديث يرويه أبو هريرة، حيث ذكر أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : "لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصــة، وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية"(٢).

فقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ "تضطرب" فيها استعارة تبعيــة، حيــث استعير "الاضطراب" لحركة أعجاز نساء دوس من الطــواف حــول صــنم ذي الخلصة.

وهذه الاستعارة فيها دلالة على قوة الحركة وشــدتها، فحركــة هــؤلاء النساء ليست حركة عادية فيها تؤدة وتأن وتمهل، وإنما حركة فيها شدة وقــوة وسرعة، وفي هذا ما يشير إلى ما وصل إليه هؤلاء القوم من الاضطراب والكفر والردة إلى عبادة الأصنام.

---

(١) راجع : معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود للخطــابي ١٣١/١، الناشــر : المطبعــة العلمية – حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ، وفتح الباري لابن حجر ٤٦/١٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب: تغير الزمان حتــى تعبــد الأوثــان، حــديث رقــم ٥٨/٧١١٦،٩، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتــى تعبد دوس ذا الخلصة، حديث رقم ٢٩٠٦، ٢٢٣٠/٤.

كما أن في هذه الصورة ملمحا آخر وهو أن الحركة التي ترسمها تلك الصورة حركة غير منضبطة، وفي هذا ما يشير إلى كثرة الطواف حول صنم ذي الخلصة، وأن هذا الأمر أصبح ديدنهم وعادتهم يفعلونه مرات ومرات.

ولا يخفى أن التعبير ــ هنا ــ كناية عن صفة ــ أيضا ــ وهي الرجوع إلى عبادة الأصنام، فيكون إنذارا بردة دوس، وأن نساءهم يرجعن إلى زيارة موضع الخلصة؛ لأن الصنم نفسه وبيته قد هدما في وقت الفتح.

والمتأمل في هذه الصورة يجد أن الكلام قد يحتمل أن يكون قد خرج مخرج الوعيد للنساء اللائي ذهبن في زمن الشرك، وأنه وقع فيها وهم للراوي نشأ من اختصاره، والمعنى: لا تقوم الساعة حتى يعجل الله العذاب لنساء الشرك باحتراق ألياتهن على حجارة الأصنام في نار جهنم، فيكون من معاني قوله تعالى: " وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ "[(١)]، وقوله: "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم"[(٢)].

ومن العلماء من أدخل هذا الحديث في باب المشكل[(٣)]: لأنه إما أن يكون النبي ــ ﷺ ــ قاله قبل فتح بلاد دوس، وهدم ذي الخلصة على يد جابر بن عبد الله، فيكون وعدا بأن الله يفتح بلاد دوس ويمحو ذا الخلصة.

ويكون المراد باضطراب أليات نساء دوس الكناية على تفجعهن على الصنم حين يجيء المسلمون لهدمه، فتكون كالكناية في قول عنترة[(٤)]:

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٤.
(٢) سورة الأنبياء : الآية ٩٨.
(١) راجع : تفصيل هذا الأمر في كتاب النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح لفضيلة الشيخ: محمد الطاهر بن عاشور ص٢٩٦، دار سحنون للنشر و التوزيع – تونس، ودار السلام للطباعة و النشر و التوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨ه = ٢٠٠٧م.
(٤) هذا البيت من قصيدة يهجو بها عمارة بن زياد، ديوان عنترة ضمن كتاب : مختار الشعر الجاهلي، شرحه وحققه وضبطه المرحوم: مصطفى السقا، ١/٣٨٤، شركة مكتبة ومطبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الخامسة–أعاد طباعته: القدس للنشر والتوزيع٢٠٠٩م. والروانف: ما استرخى من الأليتين،جمع رانف، ويقصد عنترة: الرانفين. وتستطار: تكاد تطير، والألف ضمير الروانف، أو ضمير الأليتين.

متى ما تلقني فردين ترجف ∴ روانف أليتيك وتستطارا

وإما أن يكون صدور هذا القول بعد هدم ذي الخلصة، فيكون إنذارا بردة دوس، كما فصلنا القول فيه سلفا.

وتأتي الاستعارة التالية في حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم، قال: "لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه"(١).

فقوله ــ صلى الله عليه وسلم: (ياليتني مكانه) فيه استعارة مكنية على تشبيه التمني بالحي العاقل، وحذف المشبه به ودل عليه بشيء من لوازمه – وهو النداء الذي لا يكون إلا للعقلاء – وأثبت لازم المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التخييلية.

وحرف النداء مستعمل في التلهف، و(ليتني) تمن مراد به التندم، وأصل قولهم: (يا ليتني) أنه تنزيل للكلمة منزلة من يعقل، كأنه يخاطب كلمة (ليت) يقول: احضرى فهذا أوانك.

وهذه الاستعارة تشير إلى تغبط أهل القبور، وتمني الموت عند ظهور الفتن، بسبب الخوف من ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله، وظهور المعاصي والمنكر.

فالصورة ــ هنا ــ فيها إيحاء بمعاني الذهول وشدة البلاء والكرب لدرجة أن المنادي تصور ما لا يعقل عاقلا وناداه ذاهلا.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب : لا تقوم الساعة حتى يُغبط أهل القبور، حديث رقم ٧١١٥،٩/٥٨، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم ١٥٧، ٤/٢٢٣١.

ثم إننا لنكاد نرى ملامح هذا الرجل، ونحس اضطراب خواطره، وهو يتمنى أن لو كان ميتا مقبورا، قد فارق الدنيا بفتنها و رزاياها.

فالصورة ترسم الهول الشديد والموقف العصيب والفتن الكثيرة التي تنتشر وتذيع في آخر الزمان قرب قيام الساعة، وتمني الحي أن لو كان ميتا؛ حتى ينجو من الفتن والشرور والبلايا التي تصيب الجميع.

على أنه قد ذهب بعض العلماء إلى أن التمني المذكور إنما يحصل عند رؤية القبر ــ وليس ذلك مرادا ــ بل فيه إشارة إلى قوة هذا التمني؛ لأن الذي يتمنى الموت ــ بسبب الشدة التي تحصل عنده – قد يذهب ذلك التمني أو يخف عند مشاهدة القبر والمقبور، فيتذكر هول الموقف فيضعف تمنيه، فإذا تمادى على ذلك دل على تأكد أمر الشدة عنده، حيث لم يصرفه ما شاهده ــ من وحشة القبر، وتذكر ما فيه من الأهوال ــ عن استمراره على تمني الموت [١].

ولا يخفى أن التعبير فيه كناية ــ أيضا ــ عن سوء الحال وكثرة الفتن وشدة الرزايا والمصائب، وحين يقع البلاء والشدة يكون الموت ــ الذي هو أعظم المصائب ــ أهون على المرء، فيتمنى أهون المصيبتين في اعتقاده.

وتأتي الاستعارة التالية في حديث أبي هريرة، عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "هلك كسرى، ثم لا يكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكن، ثم لا يكون قيصر بعده، ولتقسمن كنوزهما في سبيل الله"[٢].

في قوله: "هلك" استعارة تبعية، حيث شبه الهلاك بالموت بجامع ما يترتب على كل من زوال وانقطاع وعدم رجوع، ثم استعير الهلاك للموت، فصار

---

(١) راجع : فتح الباري لابن حجر ٧٥/١٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد و السير، باب: الحرب خدعة، حديث رقم ٣٠٢٧، ٦٣/٤، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم ٢٩١٨، ٢٢٣٧/٤.

الهلاك بالاستعارة معناه: الموت، ثم اشتق من الهلاك: هلك بمعنى: مات على سبيل الاستعارة التبعية.

وتأمل دقة البيان النبوي في استعارة الهلاك للموت، فالهلاك فيه إشارة إلى الكسر والسقوط وزوال الملك، يقول ابن فارس: "الهاء واللام والكاف: يدل على الكسر والسقوط، منه الهلاك: السقوط ؛ ولذا يقال للميت: هلك. واهتلكت القطاة خوف البازي: رمت بنفسها على المهالك"(١).

وفي التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي للدلالة على تحقق الوقوع، فمملكة الفرس كانت باقية زمن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد قتل آخر ملوكهم في زمان عثمان ــ رضي الله عنه، وهذا من دلائل نبوته – صلى الله عليه وسلم– وصدق رسالته.

كما أن في التعبير بالماضي ملمحا آخر، وهو تثبيت قلوب المسلمين من قريش الذين كانوا يأتون العراق تجارا، فلما أسلموا خافوا انقطاع سفرهم إليها لدخولهم في الإسلام، فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذلك لهم تطييبا لقلوبهم وتبشيرا لهم بأن ملكه سيزول عن العراق.

والمغايرة في التعبير بالفعل في سياق هذا الحديث تناسب المقام والغرض الذي من أجله سيق هذا الحديث، فعندما بشر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بزوال ملك كسرى عبر بالماضي "هلك"، ثم جاء التعبير بالمضارع عند الحديث عن قيصر "ليهلكن"، وهذا من جملة معجزاته ــ صلى الله عليه وسلم، فقد بقي ملك قيصر إلى حين وإنما ارتفع من الشام وما والاها، وكسرى ذهب ملكه أصلا، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك.

---

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٦٢/٦.

وشيء آخر يلحظ من وراء اختلاف صيغ الزمن في هذا الحديث الشريف، وهو مناسبة ما فعله كل منهما مع كتاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ "فقيصر لما جاءه كتاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبَّله وكاد أن يسلم، وكسرى لما أتاه كتاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مزقه، فدعا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يمزق ملكه، فكان كذلك"(١)، حيث عجل الله بزوال ملك كسرى، وتأخر زوال ملك الروم إلى حين.

وراجع ما وراء توكيد المضارع "ليهلكن" بـ "لام القسم والنون" من معان، فإنه وإن تأخر أفول ملك قيصر إلا أنه كائن ومحتوم، فتعدد أدوات التوكيد ــ مع أن المسلمين لا يداخلهم شك ولا يخالجهم ريب في تلك الحقيقة الساطعة- لزيادة تثبيتهم وطمأنة قلوبهم باندثار تلك الإمبراطوريات، وسطوع شمس الإسلام عليها.

وقد يكون موطن التوكيد ــ هنا ــ لإزالة ما قد يقع في الأوهام من شكوك بسبب امتداد مملكة قيصر وطول زمانها، فجاء التأكيد ــ هنا ــ لتحقيق معنى زوالها وتقريره، والدلالة على أنها ــ وإن امتد بها الزمان- هالكة لا محالة.

ثم أعد النظر في تلك التراكيب "هلك كسرى" و "ليهلكن قيصر" لتلمح فيها صورة كنائية عن زوال مملكتي الفرس والروم وأفول شمسهم، وما فيها من بشارة ــ أيضا ــ للمسلمين باتساع ملكهم وانتشار دينهم بزوال تلك الممالك، ودخول الناس في دين الله أفواجا من كل الأقطار والأوطان.

ونجد في الصورة التالية في حديث ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ من أن عمر انطلق مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في رهط قبل ابن صياد،

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٦/٦٢٦.

حتى وجدوه يلعب مع الصبيان عند أطم بنى مغالة، وقد قارب ابن صياد الحلم، فلم يشعر حتى ضرب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بيده، ثم قال لابن صياد: "تشهد أني رسول الله؟ "، فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد للنبي – صلى الله عليه وسلم– أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه وقال: "آمنت بالله ورسوله"، فقال له: "ماذا ترى؟"، قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم: "خلط عليك الأمر"، ثم قال للنبي – صلى الله عليه وسلم: "إني قد خبأت لك خبيئا"، فقال ابن صياد: هو الدخ، فقال: "اخسأ، فلن تعدو قدرك"، فقال عمر ــ رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم: "إن يكنه فلا تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله"(١).

ذكر العلماء أن ابن صياد كان فتنة أخرى، قد امتحن الله بها عباده المؤمنين؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحي من حي عن بينة.

وكان ابن صياد من اليهود، أو دخيلا في جملتهم، وكان يبلغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خبره، وما يدعيه من الكهانة، ويتعاطاه من الغيب، فامتحنه بذلك ليفضح أمره، ويخبر شأنه(٢).

وكلمة خلط فيها استعارة تبعية؛ حيث استعار "الخلط" لالتباس الأمر وعدم وضوحه؛ لأن أصل "الخلط" هو الجمع بين أجزاء الشيئين فصاعدا، سواء كانا مائعين، أو جامدين، أو أحدهما مائعا والآخر جامدا(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، حديث رقم١٣٥٤، ٢/٩٣، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن الصياد، حديث رقم٢٩٣٠، ٤/٢٢٤٤.

(٢) ينظر: معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود للخطابي، ٤/٣٤٩.

(٣) ينظر : مختار الصحاح للرازي ص٩٤، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية–الدار النموذجية، بيروت–صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠ه=١٩٩٩م.

فهذه الاستعارة تصور كذب ابن صياد، وعدم تمييزه بين الأمور؛ لأن "الخلط" تداخل الأشياء بعضها في بعض، وما يقوله ابن صياد ربما يكون شيئا قد اطلع عليه الشيطان، فألقاه إليه وأجراه على لسانه، وليس ذلك من قبل الوحي السماوي، وإنما كانت له تارات يصيب في بعضها ويخطئ في بعض.

وتأمل ما في هذه الصورة من دلالة على تشبثه بما يلقيه إليه شيطانه، وتلقفه إياه، وقبوله له.

إن كلمة الخلط في هذه الصورة كلمة متمكنة في موقعها من النظم، دالة على المراد منها أبلغ دلالة. فهذه الكلمة تشير إلى أن شيطانه قد خلط عليه ما يلقى إليه من السمع مع ما يكذب، وقد أراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بهذا التصوير أن يلزمه ويظهر للقوم كذبه في دعوى الرسالة.

والخلط فيه دلالة على شدة الالتباس وعدم وضوح الرؤية، وهذا برهان آخر على كذبه وتدليسه وعدم معرفته بحقائق الأمور.

وتأمل بناء الفعل للمفعول وما فيه من تحقير شأنه وعدم الاعتداد به، كما لا يخفى أن ذكر الفاعل في هذا المقام – أيضا – لا يتعلق بذكره غرض؛ لأن الغرض الأهم الذي ينساق إليه الكلام هو بيان كذبه وادعائه وفضح أمره.

وتقديم الجار والمجرور على نائب الفاعل للتأكيد على وضوح أمره وانكشافه، وأنه غير خاف على النبي ــ صلى الله عليه وسلم، ولما كلمه – صلى الله عليه وسلم – علم أنه مبطل وأنه من جملة السحرة أو الكهنة، أو ممن يأتيه رؤى من الجن، أو يتعاهده شيطان فيلقي على لسانه بعض ما يتكلم به.

وتأتي الاستعارة التالية في حديث عبد الله بن عمر حيث يقول: "انطلق بعد ذلك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأبي بن كعب الأنصاري إلى النخل التي فيها ابن صياد، حتى إذا دخل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ النخل

طفق يتقي بجذوع النخل، وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئا، قبل أن يراه ابن صياد، فرآه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو مضطجع على فراش في قطيفة، له فيها زمزمة، فرأت أم ابن صياد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: يا صاف ــ وهو اسم ابن صياد ــ هذا محمد، فثار ابن صياد، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم: لو تركته بين"(١).

حيث تعدد التصوير بالاستعارة في هذا الحديث الشريف، وأول ما تلقاه من تلك الصور قوله "يتقي"، فهذه الكلمة فيها استعارة تبعية، حيث استعار الاتقاء للاستتار والتخفي.

وهذا التصوير يؤكد حرص النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على عدم رؤية ابن صياد له، حتى لا يحتاط للأمر، ويفسد ما أراده النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو أن يسمع منه شيئا قبل أن يراه، حتى يفضح أمره ويبين إفكه.

وهناك استعارة أخرى في هذه العبارة، حيث استعير "الختل" للاستتار والتخفي والمواراة ؛ لأن "الختل" معناه في الأصل: المخادعة عن غفلة(٢)، وهذا ليس من صفات الأنبياء ــ عليهم السلام؛ ولذا وجب علينا توجيه الكلمة ــ هنا ــ على الاستعارة التبعية.

على أن حمل هذه الكلمة على المجاز له أصل في اللغة نقله أصحاب المطولات. فهذا ابن منظور يقول عند حديثه عن مادة (ختل): "يقال للصائد إذا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات: هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، حديث رقم ١٣٥٥، ٩٣/٢، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن صياد، حديث رقم ٢٩٣١، ٢٢٤٤/٤.

(٢) لسان العرب ١٩٩/١١ (ختل)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص٩٩١، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

استتر بشيء ليرمي الصيد: درى وختل الصيد. والمخاتلة: مشي الصياد قليلا قليلا في خفية لئلا يسمع الصيد حسه، ثم جعل مثلا لكل شيء ورى بغيره وستر على صاحبه... وختل الذئب الصيد: تخفى له"[١].

فهذه الاستعارة تصور حال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع ابن صياد، وكيف يستغفله ليسمع شيئا من كلامه الذي يقوله في خلوته؛ ليظهر للصحابة حاله في أنه كاهن، ويتبين كذب ادعائه.

وتأمل دقة التصوير الذي رسمته لنا هذه الاستعارة، حيث تصف المشهد بطريقة دقيقة وأسلوب بارع، يصعب أن تؤديها أو تحل محلها كلمة أخرى في نقل هذا المشهد.

فالصورة الاستعارية الثانية جاءت مكملة ومتتمة للصورة الأولى. فبعد أن رسمت لنا الصورة الأولى هيئة استتار النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ خلف جذوع النخل؛ جاءت هذه الصورة لترسم لنا مشهدا أخر، وهو حالة مشيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ تجاه ابن صياد ليسمع شيئا من كلامه، ويفند مزاعمه ومينه، ويدحض ادعاءه وافتراءه.

نعم الختل فيه تخف واستتار ــ أيضاــ لكن هذه الكلمة أضافت ملمحا آخر، وهو تصوير حركة مشيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى ابن صياد، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يمشي قليلا قليلا في خفية لئلا يسمع ابن صياد حسه ويأخذ حذره، وهذا يتنافى مع الغرض الذي جاء لأجله النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو سماع شيء من كلامه الذي يقوله؛ ليظهر للصحابة بطلان مزاعمه.

فالاستعارة هنا فيها استتار وتخف وتصوير دقيق لحركة مشيه ــ صلى الله عليه وسلم.

---

(١) لسان العرب ١٩٩/١١.

وتأمل مجيء الأفعال – في هذه الصورة– على صيغة المضارع؛ الأمر الذي يبرز حرص النبي– صلى الله عليه وسلم ــ الدؤوب، وسعيه الحثيث على انكشاف أمر ابن صياد أمام الصحابة.

والمضارع فيه ــ أيضاــ استحضار للصورة، وهو الأمر الذي يتناسب مع المقام الذي ورد فيه الحديث؛ لأنه الذي يظهر مدى حرصه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على التخفي والاستتار .....

فصياغة هذه الأفعال تشير إلى أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يتنقل خلف جذوع النخل مرة بعد مرة؛ بدلالة المضارع الذي يشير إلى التجدد والحدوث.

ثم إن هناك ملمحا آخر يؤكد هذا الأمر، وهو مجيء كلمة "جذوع" على صيغة الجمع، فالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يستتر بجذع واحد ليسمع كلام ابن صياد ويبين كذب حديثه، وإنما تنقل بين جذوع مختلفة مرات متعددة.

وراجع كلمة "جذوع" مرة أخرى وما توحي به من دلالة في هذا المقام ــ حيث كان من الممكن أن يكتفي بقوله: "يتقي بالنخل". لكن هذه الكلمة تؤكد حرصه ــ صلى الله عليه وسلم ــ الشديد على التخفي والاستتار؛ فالذي يتقي بالجذوع يكون أبعد عن الظهور والوضوح من اتقائه ببقية النخل.

وقد تكون الجذوع مجازا مرسلا بعلاقة الجزئية؛ حيث أطلق الجذع وأراد الساق كله، إذ الجذوع قد يكون لها خصوصية زائدة في المعنى، فهي أمعن في التخفي من باقي النخلة .....

ومن الصور الاستعارية الدقيقة ما جاء في حديث ابن عمر حيث يقول: ثم قام النبي – صلى الله عليه وسلم – في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: "إني أنذركموه، وما من نبي إلا قد أنذر قومه، لقد أنذره نوح

قومه، ولكن سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور"(١).

فقوله – صلى الله عليه وسلم: "تعلمون" فيه استعارة لطيفة، حيث استعار العلم لضده "عدم العلم"، بقرينة قوله – صلى الله عليه وسلم – قبل ذلك: "سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه".

والاستعارة هنا مجردة لأنه ذكر معها ما يلائم المستعار له – عدم العلم – وهو قوله – صلى الله عليه وسلم: لم يقله نبي قبلي.

فهذه الاستعارة تؤكد على أن أمر الدجال ينبغي أن يكون معلوما ظاهرا لكل أحد، من يعلمه ومن لا يعلمه، حتى يأخذوا حذرهم ويحتاطوا منه، ولا يقعوا فريسة سهلة ويفتنون به.

وقد تكون الاستعارة هنا تمليحية؛ للدلالة على المفارقة التامة والانفصام الكامل بين الأوصاف التي عليها الدجال وبين ما يدعيه لنفسه من صفات الألوهية أو النبوة التي تتنافى مع هذه الخصال.

والاستعارة ــ أيضا ــ عنادية لتعاند طرفيها – المستعار منه والمستعار له ــ لعدم تأتي اجتماعهما في محل واحد، فالعلم وعدمه لا يمكن اجتماعهما في شيء واحد.

ومن التصوير بالاستعارة أيضا ما جاء في حديث أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب، إلا عليه الملائكة صافين

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال، حديث رقم ٧١٢٧، ٩/٦٠، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن صياد، رقم ٢٩٣١، ٤/٢٢٤٥ .

يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق"(١).

فقد جاءت الاستعارة في قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "سيطؤه الدجال"، حيث استعير الوطء لدخول الدجال البلاد كلها، والجامع بينهما التمكن في كل.

فالاستعارة ــ هنا ــ تشير إلى سطوة الدجال وطغيانه، وتسلطه على الناس. كما أنها تؤكد ــ أيضا ــ على أن الدجال سيدخل البلاد جميعها – مع قصر مدته – لأن بعض أيامه يكون قدر السنة، ويؤيد ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان: "قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوما، فذكره وزاد، قلنا يا رسول الله! فذلك اليوم الذي كسنة، أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال كالغيث استدبرته الريح"(٢).

ولما كانت النبرة ــ هنا ــ عالية والنغمة حاسمة، والتعبير شديد، وجدنا أن الاستعارة قد جاءت ضمن أسلوب القصر بالنفي والاستثناء "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال".

فقد ذكر العلماء أن القصر بالنفي والاستثناء لا يأتي إلا في المعنى الذي يحتاج إلى فضل تقرير وتوكيد – يقول الإمام عبد القاهر: "وأما الخبر بالنفي والاستثناء نحو: ما هذا إلا كذا، وإن هو إلا كذا، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه. فإذا قلت: ماهو إلا مصيب، أو: ما هو إلا مخطئ، قلت لمن يدفع أن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة، حديث رقم ١٨٨١، ٣/٢٢، و أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: قصة الجساسة، حديث رقم ٢٩٤٣، ٤/٢٢٦٥ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم ٢٩٣٧، ٤/٢٢٥٠.

يكون الأمر على ما قلت، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: ما هو إلا زيد، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان أخر، ويجد في الإنكار أن يكون زيدا"[١]، وفي هذا زيادة تأكيد على تصوير مدى سطوته وتمكنه، ودلالة على نهاية طغيانه في الأرض.

(١) دلائل الإعجاز ٣٣٢ .

المبحث الثاني

" بلاغة التصوير بالمجاز المرسل "

قل التعبير بالمجاز المرسل في الحديث عن الفتن في البيان النبوي، ولعل ذلك يرجع إلى ضعف سمة التصوير و التشخيص في هذا النوع من الأساليب، ومن صور المجاز المرسل في الحديث عن الفتن ما جاء في حديث ابن عمر، قال: "انطلق النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأبي بن كعب يأتيان النخل الذي فيه ابن صياد، حتى إذا دخل النخل طفق النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتقي بجذوع النخل.."(١).

فقوله: "دخل النخل" مجاز مرسل علاقته الحالية، حيث ذكر الحال "النخل" وأراد المحل: "البستان أو الحديقة".

ويدل المجاز ــ هنا ــ على الإمعان في تصوير شدة التخفي والاستتار، حتى كأنه لفرط حرصه على ذلك دخل جوف النخل نفسه.

وهذه المبالغة في المعنى تتناغم مع مقام حرصه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على إظهار أمر ابن صياد لأمته وفضح تدليسه وتلبيسه، حتى لا يختلط عليهم أمره، ويكونوا أكثر بصيرة به، وحذرا من اتباعه.

والمجاز ــ هنا ــ يفيد ــ أيضا ــ كثرة النخل في المكان الذي يأوي إليه ابن صياد، وكأن هذا المكان لا يوجد فيه شيء سوى النخل، أو أنه السمة الغالبة والملمح الأبرز في هذا البستان.

ومن صور المجاز المرسل ــ أيضا ــ ما جاء في حديث المغيرة بن شعبة، قال: "ما سأل أحد النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الدجال ما سألته،

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث ص

وإنه قال لي: ما يضرك منه، قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء، قال: هو أهون على الله من ذلك"[١].

فقوله: "جبل خبز" مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون؛ لأن الدجال سيكون معه قمح وماء وليس خبزا.

وهذا المجاز يصور شدة الجدب والفاقة التي عليها الناس في آخر الزمان عند ظهور الدجال، فهم في أشد الحاجة إلى المقومات الأساسية للحياة "الماء والخبز" التي تسد رمقهم وتبقيهم أحياء.

والتصوير بالمجاز يدل على ذهاب الخير وانقطاعه، فأصبحت رؤية القمح لهؤلاء الناس رؤية للخبز الذي يتطلعون إليه ويهرعون لمن يملكه.

كما أن التصوير بالمجاز ــ هنا ــ يؤكد على أن الدجال لا يغريهم بالنذر اليسير والشيء القليل، وإنما يخرج عليهم بقمح كالجبل في كثرته وضخامته، فلا يترك لهم مجالا ليعملوا عقولهم أو يدع لهم فرصة للتفكير في غرضه ومبتغاه من وراء تلك المغريات.

فهذا الأعور الكذاب يعرف كيف يستقطب أتباعه ويأسر رقابهم، ويضمن ولاءهم؛ لأنه يأتيهم بما يبقيهم على قيد الحياة قبل أن تزهق أرواحهم من الجوع والصدى.

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث ص

المبحث الثالث

"بلاغة التصوير بالمجاز العقلي "

المجاز العقلي كالمجاز المرسل؛ قل دورانه في الحديث عن الفتن في البيان النبوي، ولعل من أبرز صوره في هذه المقامات ما جاء في حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم: "يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا"(١).

فقوله ــ صلى الله عليه وسلم: "يحسر" قد يكون فيه مجاز عقلي بعلاقة المكانية، والمجاز فيه دلالة على قوة فاعلية الفرات، حتى كأنه يحسر بإرادته واختياره، ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من المبالغة والتأكيد والإيجاز ــ أيضا.

على أنه يمكن حمل العبارة ــ هنا ــ على الاستعارة المكنية حيث شبه الفرات بالحي العاقل ــ الذي له إرادة واختيار ــ وحذف المشبه به، ودل عليه بشيء من لوازمه، وهو الإرادة والاختيار.

والأسلوب فيه نوع من التخييل والتشخيص وقوة الحسر؛ إذ الأمر الذي فيه إرادة واختيار يكون أسرع حصولا وتحققا من الأمر الذي يكون عن غير اختيار وإرادة.

فالتعبير بالفعل "يحسر" فيه دلالة على قوة الانحسار والانكشاف بسرعة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب: خروج النار، حديث رقم ٧١١٩، ٥٨/٩، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، حديث رقم ٢٨٩٤، ٢٢١٩/٤.

ومن التصوير بالمجاز العقلي ما جاء في حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "يهلك الناس هذا الحي من قريش، قالوا: فما تأمرنا، قال: لو أن الناس اعتزلوهم"(١).

فقوله ــ صلى الله عليه وسلم: "هذا الحي" مجاز عقلي علاقته المكانية، حيث أسند الإهلاك إلى الحي، والمراد بالحي ــ هنا ــ طائفة من قريش.

والإسناد فيه دلالة على تواطئهم جميعا وتنافسهم على طلب الملك.

كما أن إسناد الفعل للمكان فيه إشارة ــ أيضا ــ على شدة قربهم وتماسكهم، وأنهم يد واحدة فيما يدعون إليه، ويتفقون عليه، ويقومون بتنفيذه.

فبسبب وقوع الفتن والحروب بين هذه الطائفة تتخبط أحوال الناس، ويكون الدمار والهلاك الذي يصيب الجميع، ولا يفرق بين هذه الطائفة وغيرها من الناس.

وتقديم المفعول "الناس" على فاعله لأنه موضع العناية والاهتمام؛ لأن العناية ــ هنا ــ منصبة على الاهتمام بمن قُتل دون من قَتل، وفيه دلالة على رحمته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشفقته بالناس.

ومن التصوير بالمجاز العقلي ما جاء في حديث أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة ليس من نقابها نقب، إلا عليه الملائكة صافين

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٦٠٤، ١٩٩/٤، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم ٢٩١٧، ٢٢٣٦/٤.

يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق"[١].

فقوله ــ صلى الله عليه وسلم: "ترجف المدينة" مجاز عقلي علاقته المكانية، فالمدينة لا ترجف؛ إذ هي مكان الفعل وليست الفاعل على الحقيقة، وفي هذا الإسناد تخييل محرك ومثير، فأنت ترى المدينة تنفي خبثها بإخراج من ليس بمخلص منها، فالمقام مقام رعب وفزع.

وفاعل الرجف حقيقة هو الله ــ سبحانه ــ بدليل قوله بعد ذلك: "فيخرج الله".

فهذا المجاز فيه دلالة على قوة الفاعلية وشدة الاضطراب، وعموم الرجف وقوته وشموله جميع أنحاء المدينة.

كما أن هذا المجاز يصور شدة الزلزلة التي تحدث للمدينة قبيل وصول الدجال، حتى يخرج منها من ليس مخلصا في إيمانه، ويبقى بها المؤمن الخالص، فلا يسلط عليه الدجال.

ولما كان السياق أمام مشهد الهول المفزع، جاء التعبير بالفعل "ترجف"؛ لأن الرجفة هي الزلزلة والزعزعة الشديدة، كما أن في إيثارها إشارة إلى تكرار الأمر وحدوثه مرة بعد أخرى؛ لأن أصل الرجفة الزلزلة المتكررة المستمرة، وهذا ما يتلاءم مع قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد ذلك: "ثلاث رجفات".

إن صورة الهول ــ هنا ــ لترجف له المدينة، وإنه لهول ترتسم صوره في مشهد ينقله البيان النبوي كأنه واقع، ثم يؤكده تأكيدا "ثلاث رجفات" واقعا لا خلاف فيه، وأمام هذا الهول الذي يتمثل في الكون كما يتمثل في النفس ــ يلمس قلوبهم لتتذكر وتختار طريق السلامة، فتتجنب قلوبهم الدجال وتبتعد عن فتنه، وتسلك سبيل النجاة.

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث ص

المحور الثالث

" بلاغة التصوير بالكناية "

جاء التصوير بالكناية في الحديث عن الفتن فيما اتفق عليه الشيخان في ستة مواضع، برز أولها في حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه"(١).

فقوله صلى الله عليه وسلم: "يسوق الناس بعصاه" كناية عن استقامة الناس وانقيادهم له واتفاقهم عليه.

وأي استكانة وخضوع وذلة جعلت هذا القحطاني يملك زمام الناس، ويأسر رقابهم، ويتصرف فيهم كما يتصرف الراعي في الغنم، لا رأي لهم يعلن، ولا صوت لهم يسمع.

وراجع كلمة السوق مرة أخرى وما توحي به من امتهان وإذلال وتحقير وخوف وحذر، فهذا الرجل يسوق الناس بعصاه كما تساق القطعان، فالسوق: تسيير الأنعام قدام رعاتها، يجعلونها أمامهم لترهب زجرهم وسياطهم فلا تتفلت عليهم، فالسوق سير خوف وحذر(٢).

ثم تأمل دلالة كلمة "الناس" ومجيئها معرفة، فهذا القحطاني لا يسوق أناسا دون أناس، أو يسوق فئة معينة، فالكل مستكين لا رأي له ولا صوت ولا وزن، وليس هناك من يجابهه أو يواجهه، فالرضوخ والخضوع هي السمة الأبرز والعلامة الأوضح لهؤلاء الناس.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب: تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان، حديث رقم ٧١١٧، ٥٨/٩، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم ٢٩١٠، ٢٢٣٢/٤.

(٢) ينظر : المفردات للراغب ٤٣٦، ولسان العرب ١٦٦/١٠ (سوق).

كما أن في مجيء لفظ "الناس" هكذا معرفا ملمحا آخر، وهو أن ملك هذا القحطاني يقع في آخر الزمان عند قبض أهل الإيمان ورجوع كثير ممن يبقى بعدهم إلى عبادة الأوثان، وهم المعبر عنهم بشرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة.

وتأمل دقة التعبير النبوي في الإتيان بهذا القيد "بعصاه" في تلك الصورة، فـ "العصا" هنا غير مقصودة في ذاتها، وإنما جيء بها لتأكيد استيلاء هذا الرجل عليهم وطاعتهم له.

ولا يخفى ما في هذا القيد – أيضا – من دليل على عسفه بهم وخشونته عليهم، فسوقه لهم سوق عنيف لا هوادة فيه ولا لين.

وفي إضافة "العصا" إليه ولم يقل: "بعصا" مثلا فيه دلالة على أنها تلازمه وتصاحبه في حله و ترحاله، لا تنفك عنه ولا ينفك عنها؛ ولهذا قيل: "إنه يسوقهم بعصاه حقيقة، كما تساق الإبل والماشية؛ لشدة عنفه وعدوانه"(١)، وإضافة "العصا" لهذا الرجل فيه رمز إلى الملك والسلطان ــ أيضا.

ويمكن أن توجه الكناية ــ هنا ــ باعتبارين، فهي باعتبار النظر إلى المسوقين توحي بالامتهان والإذلال والخوف والحذر .... وباعتبار النظر إلى السائق كناية عن بطشه وعنفه وعدوانه.

وتأتي الكناية التالية في حديث جابر بن سمرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله"(٢).

(١) فتح الباري لابن حجر ٧٧/١٣.
(٢) سبق تخريج هذا الحديث ص

فقوله – صلى الله عليه وسلم: "لتنفقن كنوزهما في سبيل الله" كناية عن أن زوال ملك هؤلاء الأكاسرة والأباطرة سيكون على أيدي المسلمين.

وأسلوب الكناية ــ هنا ــ فيه بشارة للمسلمين وطمأنة لقلوبهم، وحث لهم على الجهاد في سبيل الله؛ إعلاء لراية الإسلام، ونشرا لمبادئه وتعاليمه، حتى يعم بقاع الأرض، كما بشر بذلك المعصوم ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الحديث الذي رواه المقداد بن عمرو أنه سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: "لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعز عزيز أو ذل ذليل، إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فيدينون لها"[(١)].

وأول ما يسترعي انتباهنا في هذه الصورة هو كلمة "لتنفقن" ونفاق الشيء: كنفاده، وأنفقه: جعله ينفق بصرفه وإخراجه من يده[(٢)]، فاختيار لفظ الإنفاق فيه دقه تعبير وبراعة تصوير، حيث يشير إلى أن تلك الكنوز لن تبقى بأيدي هؤلاء الفاتحين وإنما ستنفق في سبيل الله.

وهذه الكلمة فيها أمارة ــ أيضا ــ على صدق إخلاصهم، وحسن إيمانهم، ونقاء سريرتهم؛ لأن الإنفاق في سبيل الله أظهر آيات الإيمان الصحيح، فهم يعترفون ابتداء بأن الكنوز التي في أيديهم هي من رزق الله لهم، لا من خلق أنفسهم.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢٣٦/٣٩، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ = ٢٠٠١م. وهناك رواية أخرى لتميم الداري: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر" مسند الإمام أحمد: ١٥٥/٢٨.

(٢) ينظر: لسان العرب ٣٥٨/١٠ (نفق).

ثم أعد النظر في كلمة "الإنفاق" ــ مرة أخرى تجد أنها كلمة عامة تشمل الزكاة والصدقة، وسائر ما ينفق في وجوه البر "وقد شرع الإنفاق قبل أن تشرع الزكاة؛ لأنه الأصل الشامل الذي تخصصه نصوص الزكاة ولا تستوعبه"(١).

والفرس والروم أصحاب حضارة قديمة ومجد تالد، ويذكر التاريخ أنهم كانوا يسيطرون على العالم كله: شرقه وغربه، ويتحكمون في شعوبه وخيراته.

وتأمل كلمة "كنوز" ــ دون غنائم مثلا- ومجيئها على صيغة الجمع؛ تجد أنها في موقعها من الأسلوب، حيث تصور كثرة النعيم الذي كان يرفل فيه هؤلاء القوم، وما هم فيه من رغد وسعة؛ لأن الكنز هو المخبوء المدخر من المال الفائض عن الاستعمال والتداول(٢).

ثم إن هناك علاقة ما بين كلمة "كنوز" وبين تعدد وسائل التوكيد "القسم ــ اللام ــ النون" في صدر هذا الأسلوب.

كنوز مخبوءة صنعتها حضارات عتيقة في قرون عديدة، لا يمكن الوصول إليها والظفر بها إلا لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وباعوا دنياهم بآخرتهم ابتغاء مرضاة الله.

فتعدد أدوات التوكيد يشير إلى أن هذا الأمر وإن كان صعب المرام، بعيد المنال؛ إلا أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد بشر به، وأكد وقوعه، فعلى المؤمنين الصادقين السعي لتحقيقه والوصول إليه.

ولعل السر في اختيار هذا القسم ــ دون غيره ــ والتعبير عنه بجملة الصلة "والذي نفسي بيده"؛ ما يؤكد على أن الذي بيده كل شيء هو الذي يستطيع

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٤٠/١، الناشر: دار الشروق – القاهرة، الطبعة السابعة عشرة ١٤١٢هـ.

(٢) ينظر لسان العرب ٤٠١/٥ (كنز)، والقاموس المحيط ٥٢٣ (كنز).

أن يزيل تلك الممالك ويمكن المسلمين منها، فهذا أمر ليس ببعيد على الله ـ سبحانه.

ويأتي ختام الصورة بهذا القيد "في سبيل الله" مناسبا لتلك الكنوز العظيمة التي يغنمها المسلمون من هؤلاء الأعداء، فهذا القيد باب واسع يشمل كل مصلحة للجماعة، تحقق كلمة الله.

ومن التصوير بالكناية ـ أيضا ـ ما جاء في حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: "تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم، ثم يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي، فاقتله"(١).

في قوله ـ صلى الله عليه وسلم: "فتسلطون عليهم" كناية عن تمكن المسلمين من اليهود وقهرهم لهم.

وأسلوب الكناية ـ هنا ـ فيه وعد للمسلمين بتقوية قلوبهم، وبسط صدورهم، وإزالة الرعب عنهم؛ حتى يتمكنوا من مواجهة هؤلاء اليهود والتغلب عليهم.

كما لا يخفى أن هذا الأسلوب فيه إشارة إلى أن الله – تعالى – قد من على المسلمين بأن قذف الرعب في قلوب اليهود، وأن تأييد الله ـ تعالى ـ ونصره إنما يكون لهؤلاء المؤمنين.

واختيار لفظ "التسليط" ـ دون القتال أو الهزيمة مثلا ـ فيه دقة تعبير وروعة بيان؛ لما فيه من تمكن المسلمين منهم، وهزيمتهم شر هزيمة، وكبتهم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٥٩٣، ١٩٧/٤، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم ٢٩٢١، ٢٢٣٩/٤.

وقطع دابرهم، فهذا اللفظ مأخوذ من "السلاطة" وهي الحدة والتمكن من القهر، يقال: سلطته فتسلط ، قال تعالى: "ولو شاء الله لسلطهم عليكم"(١)، وقال تعالى: "ولكن الله يسلط رسله على من يشاء"(٢)، ومنه سمى السلطان(٣).

فهذا اللفظ يناسب ويلائم الأحاديث الأخرى التي ذكرت أن هؤلاء اليهود هم أتباع الدجال وجنوده، وبعد أن يدرك عيسى ــ عليه السلام ــ الدجال ويقتله ينهزم اليهود.

ومن مظاهر التسليط أنه "لا يبقى شيء مما يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، فقال: يا عبد الله ــ للمسلم ــ هذا يهودي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجرهم"(٤).

على أن تسلط المسلمين على اليهود وغلبتهم لهم قد يحدث مرات متعددة وفي أزمنة مختلفة. يدل على ذلك تضعيف عين الفعل "سلّط" الأمر الذي يشير إلى أن تمكن المسلمين منهم وقهرهم لهم يحدث أكثر من مرة.

ومناسبة الألفاظ لمعانيها باب عظيم من أسرار العربية، قد وضحه وفصل القول فيه العلامة ابن جنى؛ حيث وضع لذلك بابا في خصائصه وسمه بقوله: "باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني"(٥).

---

(١) سورة النساء : الآية ٩٠.

(٢) سورة الحشر : الآية ٦.

(٣) ينظر: المفردات للراغب ٤٢٠ (سلط)، ولسان العرب ٣٢٠/٧ (سلط).

(٤) ينظر: سنن ابن ماجه ١٣٥٩/٢، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي – القاهرة (د. ت).

(٥) راجع كتاب الخصائص لأبى الفتح ابن جنى: ١٥٧/٢:١٥٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة،١٣٧١هـ = ١٩٥٢م، ونص كلامه: "ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل، وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني، فأقوى الألفاظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام....".

وتأمل ما وراء بناء الفعل للمجهول من معان؛ ليتبين لك أن المسلمين متصلون بإرادة الله ومشيئته، يجعل لهم دورا معينا في تحقيق قدر الله في الأرض، بإذن الله وتقديره، فما يتحركون بهواهم، وما يأخذون أو يدعون لحسابهم، وما يغزون أو يقعدون، وما يخاصمون أو يصالحون، إلا لتحقيق جانب من قدر الله في الأرض منوط بهم.

كما أن بناء الفعل للمجهول فيه دلالة على انقياد المسلمين لأمر ربهم واتباعهم لمنهجه، حتى يكونوا أهلا لهذا التسليط، فإن حادوا عن طريق الجادة والصواب نزعت منهم هذه الخاصية.

ثم انظر إلى دلالة الفاء في هذا البيان النبوي، وما تقتضيه من سرعة التسليط وعدم تراخيه، فهذا وعد آخر بشر به وكفله ــ صلى الله عليه وسلم ــ للمؤمنين الصادقين، فالتسليط والتمكين والغلبة يكون بعد القتال مباشرة، ولن يبقى الأمر طويلا حتى يتحقق ذلك.

والأسلوب فيه حث على الجهاد وبذل النفس لإعلاء كلمة الله؛ إذ هو طريق التسليط والتمكين.

ومن التصوير بالكناية ما جاء في حديث عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ عندما قال عمر ــ رضي الله عنه ــ لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم: "ائذن لي فيه أضرب عنقه"(١).

فقوله: "أضرب عنقه" كناية عن صفة، فضرب العنق عبارة عن القتل؛ لأن الغالب أن تضرب الأعناق خاصة دون غيرها من الأعضاء، وذلك أنهم كانوا يقولون: ضرب الأمير رقبة فلان، وضرب عنقه وعلاوته، وضرب ما في عيناه: إذا قتله.

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث ص

فقتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب عنقه، فوقع عبارة عن القتل، وإن ضرب بغير عنقه من المقاتل، وضرب العنق له مزيد اختصاص بالأمر المذكور – وهو القتل – لأن قطع العنق قطع للحياة من أصلها.

وهذا الأسلوب فيه تصوير لعملية القتل بصورتها الحسية المباشرة، وبالحركة التي تمثلها، تمشيا مع المقام الذي ورد فيه، وهو تجاوز ابن صياد في الرد على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وخشيته ــ صلى الله عليه وسلم ــ من افتتان الناس به، وتصديقهم له فيما يدعيه ويفتريه.

على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل؛ لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة، وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه [١].

ولا يخفى أن قوله "أضرب" فيه استعارة تبعية، حيث استعار الضرب للقطع؛ لأن القطع من لوازم الضرب ومقتضياته، ومثل هذه الاستعارات قد ذاعت بين الناس واشتهرت حتى صارت تجري على ألسنتهم مجرى الحقائق.

وهذه الصورة توحي بغيرة عمر وحميته على الدين وعلى شخصه ــ صلى الله عليه وسلم، فلم يتمالك نفسه وعزم على قتل ابن صياد دون تردد عندما تجاوز في الرد على النبي ــ صلى الله عليه وسلم.

وتأتي الكناية التالية في حديث ابن عمر قال: "ذكر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوما، بين ظهري الناس، المسيح الدجال ..."[٢].

---

(١) راجع : تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري ٣١٦/٤، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

(٢) سبق تخرج هذا الحديث ص

فقوله: "بين ظهري الناس" كناية عن تواضعه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولين جانبه لهم، وعدم ترفعه عليهم.

وهذه الكناية تفيد بأنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يجلس في وسط الناس مستظهرا لا مستخفيا.

وأصل هذه العبارة: "بين ظهري الناس" بينهم على سبيل الاستظهار، وزيد لفظ الظهر ليدل على أن ظهرا منهم قدامه وظهرا وراءه، فهو محفوف بهم من جانبيه، ثم كثر استعمالها في الإقامة بين القوم مطلقا، وإن لم يكن محفوفا.

فهذه الصورة تنفي عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ تلك الصفات التي كان يتصف بها الملوك والأمراء والسادة، ويعرفون بها من غيرهم من العامة، مثل الخيلاء والكبرياء والفراهة، وعدم مخالطة الناس، حيث يكون لهم موقع معلوم ومكان مميز، يقصدهم فيه الناس، لا يتغير ولا يتبدل.

ومن التصوير بالكناية ــ أيضا ــ ما جاء في حديث أنس ــ رضي الله عنه ــ قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم: "ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر"(١).

حيث برزت صور الكناية في هذا الحديث، وتعددت أنواعها، وكان أول تلك الصور في قوله – صلى الله عليه وسلم: "الأعور الكذاب"، فهذا التعبير كناية عن موصوف وهو المسيح الدجال.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال، حديث رقم ٧١٣١، ٦٠/٩، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم٢٩٣٣، ٢٢٤٨/٤.

والغرض من الكناية ــ هنا ــ التنفير من اتباعه بتشويه صورته وتقبيح منظره؛ لأن الناس عادة ما يأنفون من مجالسة الأعور، فضلا عن الاستماع إليه وتصديقه، واتباعه فيما يأتيهم به من الفتن والأكاذيب.

فالتعبير بهذا الوصف فيه دلالة على اشتهار أمره وذيوع خبره ووضوحه، حتى صار هذا الوصف لا ينصرف ــ عند الذكر ــ إلا إليه، حتى لكأنه أصبح علما في هذا الوصف، لا ينازعه فيه أحد ولا يشاركه فيه شخص آخر، كما أن هذا الوصف فيه دلالة ــ أيضا ــ على بلوغه النهاية في صفات القبح والنقص، كما هو مقتضى التعريف بالألف واللام.

وإنما اقتصر على أمر العور ــ مع أن أدلة الحدوث في الدجال ظاهرة ــ لكون العور أثرا محسوسا، يدركه العالم والعامي، ومن لا يهتدي إلى الأدلة العقلية، فإذا ادعى الربوبية وهو ناقص الخلقة ــ والإله يتعالى عن النقص ــ علم أنه كاذب(١).

وفي مجيء لفظ "الكذاب" على صيغة المبالغة دليل على أنه قد تمرس الكذب وامتهنه، حتى صار سجية له، وعلما يعرف به.

وتأتي الكناية الأخرى في قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "إن بين عينيه كافر"؛ مكملة للكناية الأولى وموضحة لها، فهذا الأسلوب كناية عن نسبة الكفر إليه.

والتصوير بالكناية ــ هنا ــ يشير إلى أن الكفر وصف لازم له، لا ينفك عنه بحال من الأحوال، لا في حله ولا في ترحاله، فأمارات كفره ظاهرة عليه وبادية لكل من نظر إليه، لا يستطيع أن ينكرها أحد أو يتعامى عنها، فضلا عن تصديقه واتباعه فيما يدعيه ويخدع به.

---

(١) راجع: فتح الباري لابن حجر ٩٦/١٣.

ولا يخفى أن الكناية ــ هنا ــ قد تولدت عنها كناية عن صفة أخرى، وهي ظهور أمارات الكفر وعلاماته على الدجال، حتى صار معلوما لكل أحد، لا يتمارى فيه اثنان.

فتعدد أساليب الكناية في هذا البيان النبوي فيه تنبيه من طرف خفي إلى وجوب الحذر منه، والنفور من اتباعه والابتعاد عنه؛ ومن ثم ذكر بعض العلماء أن نقص صورة الدجال وعوره، وتكفيره المكتوب بين عينيه لا يغتر به إلا رعاع الناس؛ لشدة الحاجة والفاقة وسد الرمق، أو خوفا من أذاه أو تقية[١].

وقرينة الكناية – هنا – غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي، بل قد يكون مقصودا للنبي – صلى الله عليه وسلم – أيضا؛ بدلالة قوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث آخر: "يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب"[٢]، وهذا أمعن في الدلالة على افتضاح أمره وظهور كذبه.

وتأكيد الخبر بـ "إنّ" – في هذه الصورة الكنائية– لتنزيل خالي الذهن منزلة المتردد؛ لأن الخطاب ــ هنا ــ مع أصحاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم، وهم لا يترددون ولا يشكون في كلام النبي ــ صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لغفلة الناس عن الدجال، وتماديهم في نسيان أمره، والتأهب لخطره.

ويأتي بعد ذلك حديث أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب، إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها...."[٣].

---

(١) راجع عمدة القاري ١٧٤/٨ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم ٢٩٣٤، ٢٢٤٩/٤

(٣) سبق تخريج هذا الحديث ص

فقوله ــ صلى الله عليه وسلم: "عليه الملائكة صافين يحرسونها" فيه كناية عن صفة، وهي التهيؤ والتأهب والاستعداد التام، وامتثال ما يلقى إليهم من أمر الله ــ تعالى.

فـ "صافين" حال من الملائكة، وهو جمع صاف، يقال: صف الأمير الجيش، متعديا إذا جعله صفا واحدا أو صفوفا، فاصطفوا. ويقال: فصُّفُوا، أي: صاروا مصطفين، فهو قاصر. وهذا من المطاوع الذي جاء على وزن فعله(١).

ولا يخفى ما في تلك الكناية من دلالة على الثبات الدائم والتماسك المستمر، وعدم تخلل الفرج بينهم في أي وقت، ويدل على ذلك ــ أيضاــ مجيء تلك الكلمة على وزن اسم الفاعل.

فهذه الصورة تشير إلى أن الملائكة عباد من خلق الله، لهم وظائف في طاعة الله، فهم يصفون للدفاع عن مكة والمدينة والذب عنهما، ويمنعون الدجال من الدخول، ويقف كل منهم على درجة لا يتجاوز حده.

ويأتي الفعل المضارع "يحرسونها" ــ عقب أسلوب الكنايةــ للتأكيد على أنهم لا ينفكون عن الحراسة ولا ينقطعون عنها، مرة بعد مرة وحينا بعد حين.

ولا يخفى ما في هذا الفعل من دلالة على استحضار المشهد، وتصوير الحدث، وكأنه واقع أمامهم يشاهدونه ويعاينونه، مما يؤكد على مزيد عناية الله وحفظه لتلك الأماكن.

وقد يتولد عن الكناية صورة كنائية أخرى، وهي أن مكة والمدينة بموضع من كلأ الله ورعايته وحفظه، فالدجال لن يستطيع أن يدخلهما، ولن يتمكن من نشر فتنه فيهما.

---

(١) ينظر: لسان العرب ١٩٤/٩ (صف).

المحور الرابع

"بلاغة التصوير بالكلمة المفردة "

ويشتمل على ثلاث مباحث :

المبحث الأول

"بلاغة التصوير بالدلالة المعجمية"

جاء التصوير بالدلالة المعجمية في الحديث عن الفتن في مواضع عديدة، وكانت كل كلمة مناسبة للمقام الذي وردت فيه ومصورة له أبلغ تصوير.

ومن التصوير بالدلالة المعجمية ما جاء في حديث زينب بنت جحش، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – دخل عليها فزعا يقول: " لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه....."[(١)].

وأول ما يطالعنا في هذا البيان النبوي الفعل الماضي المبني للمفعول "فُتح" وما فيه من دلالة على أنه فتح عن عمد وقصد، وأنه يتحقق في الوجود على مراحل متتابعة، وهذا هو المناسب لما ورد في حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم: "إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا، إن شاء الله –تعالى– واستثنوا....."[(٢)].

فكلمة "الفتح" صورت المعنى المراد – هنا – أبلغ تصوير، وكانت مناسبة للمقام وملائمة له، ولا يمكن أن تقوم مقامها كلمة أخرى، كـ "انهار" مثلا ؛ وذلك لأن الانهيار تهاو وسقوط على مرحلة واحدة، وعلى وجه السرعة، وهو أمر غير مراد في هذا المقام.

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث ص

(٢) سنن ابن ماجه ١٣٦٤/٢، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم، حديث رقم ٤٠٨٠.

كما أن التصوير بهذه الكلمة هو الذي يتناسب مع ما بعده في سياق الحديث، من قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "إذا كثر الخبث"، فإن كثرة الخبث وانتشاره لا يحصل طفرة واحدة، وإنما يكون على مراحل، مرحلة بعد أخرى، وكذلك الفتح لا يكون دفعة واحدة.

وإنما خص "الردم" بالذكر في هذا المقام لأنه أعظم من السد وأقوى منه وأمتن؛ "فالردم: سدك بابا كله أو ثلمة أو مدخلا، أو نحو ذلك ... والردم أكثر من السد؛ لأن الردم ما جعل بعضه على بعض"(١).

فالردم فيه إحكام وقوة ومتانة؛ لأنه يدل على تمام الغلق، وهو أعظم وأكثر من السد.

ولعل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ناظر في إيثار هذه الكلمة إلى قوله ــ تعالى ــ حكاية على لسان ذي القرنين: "أجعل بينكم وبينهم ردما"(٢).

وهناك ملمح دقيق في هذه القصة، وهو أن القوم طلبوا من ذى القرنين أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا يمنعهم ويحميهم ويصد عنهم فساد يأجوج ومأجوج: "إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا"(٣).

وكانت إجابة ذى القرنين بأنه سيبني لهم ردما قويا محكما، لا يستطيع هؤلاء المفسدون نقبه، ولا الظهور عليه.

فكلمة "ردم" تتناسب مع مقتضى حال يأجوج ومأجوج، فهم قوم أشداء، كثيرو العدد، فيلزم لصدهم ومنعهم سد متين محكم؛ لما أن الردم يدل على إحكام

---

(١) لسان العرب ٢٣٦/١٢ (ردم).
(٢) سورة الكهف : الآية ٩٥.
(٣) سورة الكهف : الآية ٩٤ .

الغلق وإتمامه، بحيث لا يترك للشيء منفذا ينفذ منه، وهو أكثر من السد وأكبر منه؛ بدلالة قوله تعالى: "فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا"[١].

ويأتي بعد ذلك إجابته ــ صلى الله عليه وسلم ــ على زينب بنت جحش حين تعجبت واستبعدت الهلاك والدمار، ولا يزال في الأمة أناس صالحون ــ بقوله: "نعم إذا كثر الخبث".

فالفعل الماضي في قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "إذا كثر الخبث" فيه إشارة إلى تحقق الوقوع وأنه كائن لا محالة، ويدل على ذلك ــ أيضا ــ مجيء أداة الشرط "إذا" التي لا تأتي إلا في الشرط المجزوم بوقوعه المقطوع بتحققه.

فاختيار هذه الكلمة "كثر" فيه دلالة على أن أمة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا تخلو من الخير، وأن الخبث لا يمكن أن يقع في كل آحاد أمة النبي ــ صلى الله عليه وسلم.

على أن التعبير بالماضي مضموم العين للدلالة على انتشار الفسوق والفجور، وأنه صار ملمحا بارزا وأمرا ظاهرا قد تفشى في المجتمعات الإسلامية.

وهذا من دلائل نبوته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصدق رسالته، فقد انتشر الخبث وعم الفجور، وشاع الفسوق وذاع، فعلى المسلمين أن يفيقوا من سباتهم العميق، ويعودوا إلى رشدهم وسابق عهدهم، أمة قوية مستمسكة بتعاليم ربها وهدى نبيها، قبل أن يتسع الخرق ويفوت الأوان، فيندم العصاة والمذنبون، ولات ساعة مندم.

ثم تأتي كلمة "الخبث" في ختام هذا الحديث، وما فيها من وقع منفر في النفس لما يستصحبها من معان؛ بالإضافة إلى ما تتسم به من عموم الدلالة ــ

(١) سورة الكهف : الآية ٩٧ .

أيضا ــ بخلاف غيرها كالزنا مثلا، فإنها تحتمله وتحتمل غيره من ألوان الفسق والفجور، ومن المفاسد كلها.

وقد ذكر ابن الأعرابي أن أصل الخبث في كلام العرب هو "المكروه، فإن كان من الكلام فهو الشتم، وإن كان من الملل فهو الكفر، وإن كان من الطعام فهو الحرام، وإن كان من الشراب فهو الضار؛ ومنه قيل لما يرمى من منفى الحديد: الخبث"(١).

ومن التصوير بالدلالة المعجمية ما جاء في حديث عائشة ــ عن الخسف بالجيش الذي يؤم البيت ــ قالت: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم: "يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض، يخسف بأولهم وآخرهم، قالت: قلت: يا رسول الله! كيف يخسف بأولهم وآخرهم؟ وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم قال: يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نيّاتهم"(٢).

فهذا الجيش يقصد الكعبة لتخريبها، ولكنهم لن يتمكنوا من الوصول إليها والحصول على مبتغاهم؛ لأنه سيخسف بهم في البيداء، ويهلكون عن بكرة أبيهم، ولا يكون لهم من باقية.

وكلمة "بيداء" فيها تناغم وتلاؤم مع مقام الهلاك المدلول عليه بكلمة "يخسف"، والبيداء مأخوذة من الإبادة لأنها تبيد سالكها وتهلكه، "فالبيداء: الفلاة والمفازة المستوية يجري فيها الخيل، وقيل مفازة لا شيء فيها، وقال ابن جني: سميت بذلك لأنها تبيد من يحلها"(٣).

---

(١) لسان العرب ١٤٤/٢ (خبث) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: ما ذكر في الأسواق، حديث رقم ٢١١٧، ٦٥/٣، و أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، حديث رقم ٢٨٨٤، ٢٢١٠/٤.

(٣) لسان العرب ٩٧/٣ (بيد).

ولا يتعارض هذا الكلام مع ما ذكره بعض الشراح من أن المراد بالبيداء في هذا الحديث اسم موضع مخصوص بين مكة والمدينة[١]، ويؤيد ذلك رواية لمسلم عن أبي جعفر الباقر، قال: "هي بيداء المدينة"[٢].

ومن التصوير بالدلالة المعجمية ــ أيضاــ ما جاء في حديث أسامة ــ رضي الله عنه ــ قال: "أشرف النبي – صلى الله عليه وسلم – على آطم من آطام المدينة، فقال: هل ترون ما أرى، إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر"[٣].

فإيثار لفظ "القطر" للدلالة على الكثرة والعموم، أي: أنها فتن كثيرة تعم الناس جميعا، وفي هذا إشارة إلى خطرها وعظمها، وكثرة ما ينجم عنها من مفاسد وشرور، فعلى المسلمين أن يحتاطوا منها ويأخذوا حذرهم، حتى لا ينغمسوا فيها فتبدد شملهم وتفرق وحدتهم، وتهلكهم.

فهذه الكلمة تؤكد على أن تلك الفتن تصيب الجميع، ولا تختص بها طائفة دون أخرى، وفي هذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم، كموقعة الجمل وصفين والحرة، ومقتل عثمان، ومقتل الحسين – رضي الله عنهم، وغير ذلك.

ويلمح من هذه الكلمة أمر آخر، وهو تتابع تلك الفتن التي تصيب المسلمين وتلاحقها، وعدم إمهالها لهم. يقول ابن فارس: "والقطر: قطر الماء وغيره، وهذا باب ينقاس في هذا الموضع؛ لأن معناه التتابع، ومن ذلك قطار الإبل، وتقاطر القوم: إذا جاءوا أرسالا"[٤].

---

(١) راجع : شرح النووي على مسلم ٥/١٨، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ، وفتح البارى لابن حجر ٣٤٠/٤، وعمدة القاري ٢٣٧/١١.

(٢) صحيح مسلم ٢٢٠٨/٤،باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، حديث رقم ٢٨٨٢.

(٣) سبق تخريج هذا الحديث ص

(٤) معجم مقاييس اللغة ١٠٦/٥ (قطر) .

ويأتي بعد ذلك حديث أبي بكرة عن الأحنف بن قيس، أنه سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ....."[١].

فكلمة "التقى" تشير إلى الحرص وتعمد المواجهة من الطرفين؛ بدلالة ذكر أداة المواجهة (السيف)، يقال: "التقى الفارسان: إذا تحاذيا وتقابلا"[٢].

فاجتماع القاتل والمقتول ليس لقاء عابرا غير مقصود، وإنما هو أمر قد أعد له ودبر، فقد جاء كل واحد من مكان، والتقيا في مكان واحد، كما يلتقي الجيشان.

كما أن هذه الكلمة فيها نوع من المشاركة والمفاعلة، فالقاتل والمقتول مشتركان في الإثم والذنب، ولذلك كانت النار مصيرهما وجزاءهما، لا فرق في ذلك بين قاتل ومقتول.

ومن التصوير بالدلالة المعجمية ــ أيضا ــ ما جاء في حديث حذيفة ــ عن الفتنة التي تموج كما يموج البحر ــ حيث يقول: "قال : ليس عليك منها بأس، يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابا مغلقا، قال أيكسر أم يفتح، قال يكسر، قال: إذا لا يغلق أبدا، قلنا: أكان عمر يعلم الباب، قال: نعم، كما أن دون الغد الليلة، وإني حدثته بحديث ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأل حذيفة فأمرنا مسروقا، فسأله فقال: الباب عمر"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما"، حديث رقم ٣١، ٥١/١، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: إذ تواجه المسلمان بسيفهيما، حديث رقم ٢٨٨٨، ٢٢١٣/٤.

(٢) لسان العرب ٢٥٤/١٥ وما بعدها (لقي) .

(٣) سبق تخريجه ص

فالإتيان بلفظ "الباب" ــ هنا ــ فيه دلالة على ضعف الحاجز بين الفتنة ووقوعها، فالباب سهل الانكسار بخلاف السد أو الردم، ومن هنا جاء التعبير في قصة يأجوج ومأجوج بردم دون باب وهكذا، كما سبق الإفاضة فيه.

وفي إيثار لفظ "الباب" ملمح آخر دقيق، وهو أن للفتنة موقعا معينا ونقطة محددة تنطلق منها وتنتشر، بخلاف الردم أو السد فأمره مبهم، ونقطة انهياره غير معلومة، ويصعب توقعها.

فالتصوير بهذه الكلمة فيه دقة وإبانة لا يمكن أن تقوم مقامها كلمة أخرى؛ لتحذير المسلمين من الفتنة التي ستعصف بهم بعد موت عمر ــ رضي الله عنه.

والتنكير في لفظ "باب" قد يكون للإبهام، لتذهب النفس في تقديره كل مذهب، وقد يفيد التنكير معنى التعظيم، بدلالة قوله بعد ذلك ــ في تعيين الباب ــ (الباب عمر).

على أنه يمكن أن يكون قد استعار الباب للحاجز المعنوي بين الفتنة وبين وقوعها استعارة أصلية.

وعبر بلفظ "يكسر" لما فيه من إشارة أو رمز إلى عدم جبره بالإصلاح، فالفتح فيه دلالة على إمكان الغلق، أما الكسر فليس فيه ما يشير إلى ذلك.

ولا يخفى أن الباب إذا كسر فإنه يفتح على مصراعيه، فالفتح كامل، ورحم الله أمير المؤمنين عمر، فقد انتشرت الفتن وشاعت بعد موته، ودب الخلاف بين المسلمين، وتمكن منهم الشقاق وأسباب النزاع.

والإتيان بجمع الجمع منفيا في قوله (ليس بالأغاليط) للتأكيد على صدقه، ودفع ما يمكن أن يحوم حول حديثه من تكذيب أو من شك أو ريبة، فالأغاليط:

جمع أغلوطة، وهي التي يغالط بها، فمعناه: حدثته حديثا صدقا محققا، ليس هو من حديث النبي ــ صلى الله عليه وسلم.

وتأمل دلالة كلمة "يوشك" في حديث أبي هريرة حين يقول: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم: "يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا"(١).

فهذه الكلمة تنبئ عن شدة قرب انحسار نهر الفرات عن كنز من ذهب، وفي هذا إيحاء شديد وإشارة واضحة على قرب وقوع الفتن.

يقول أحمد بن فارس عن أصل مادة هذه الكلمة: "الواو والشين والكاف: كلمة واحدة هي من السرعة، وأوشك فلان خروجا: أسرع وعجل، وأمر وشيك، وأوشك يوشك"(٢).

فقد صورت كلمة "يوشك" السرعة المرادة والعجلة المقصودة في هذا المقام، وهو تحذير المسلمين من تلك الفتنة بعدم المشاركة فيها، وأن من حضر هذا الكنز ــ بعد انحسار نهر الفرات– فليبتعد عنه وليتجنبه، ولا يأخذ منه شيئا.

ومن التصوير بالدلالة المعجمية ــ أيضاــ ما جاء في حديث أبي هريرة، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: " لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة، وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية"(٣).

---

(١) سبق هذا الحديث ص

(٢) معجم مقاييس اللغة ١١٣/٦ (وشك) .

(٣) سبق تخريج هذا الحديث ص

فالمراد بقوله ــ صلى الله عليه وسلم: "طاغية دوس" أي صنمهم ومعبودهم، سمي باسم المصدر لطغيان الكفار بعبادته، فهذا الصنم كان سبب طغيانهم وكفرهم.

على أن كل ما تجاوز الحد في تعظيم أو غيره فقد طغى، فالطغيان: المجاوزة للحد، ومنه قوله تعالى: "إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية"(١)، "وطغى البحر: هاجت أمواجه، وطغى الدم: تبيَّغ، وطغى السيل: إذا جاء بماء كثير"(٢).

فمشركو دوس قد غالوا في كفرهم وجاوزا الحد في عتوهم، وتمادوا في طغيانهم في الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم؛ بعبادتهم هذا الصنم الذي لا يملك لهم رزقا، ولا يستطيع دفع ضر عنهم، وبالغوا في تمجيده وتعظيمه حتى صار مثلا يضرب في الطغيان والعتو.

فهذه الكلمة تصور حقيقة حالهم ومدى خسرانهم وتخبطهم والمصير الرعيب الذي ينتظرهم بسبب طغيانهم وتجاوزهم في عبادة هذا الصنم.

ومن التصوير بالدلالة المعجمية ما جاء في حديث عبد الله بن عمر، عندما قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لابن صياد: "اخسأ فلن تعدو قدرك"(٣).

ففعل الأمر في قوله "اخسأ" يفيد الإهانة والزجر والإذلال، وأصل هذه الكلمة أنها زجر للكلب وإبعاد له، "فالخاسئ من الكلاب والخنازير والشياطين:

---

(١) سورة الحاقة : الآية ١١.
(٢) لسان العرب ٨/١٥ (طغى) .
(٣) سبق تخريج هذا الحديث ص

البعيد الذي لا يُترك أن يدنو من الناس، وخسأت الكلب: طردته"[١].

على أن العرب قد استعملوا هذه الكلمة في كل من قال أو فعل ما لا ينبغي له، مما يسخط الله ويقتضي غضبه.

فالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أراد بهذه الكلمة أن يخرس ابن صياد، وأن يسكته سكوت الأذلاء المهينين؛ فإنه يستحق العذاب الأليم والشقاء المهين، بسبب دجله وخلطه وتلبيسه على الناس.

كما أن هذه الكلمة فيها دلالة – أيضا – على بعد المخاطب وحقارته وذله، فالكلام ــ هنا ــ جار على طريق الخطاب بدلالة فعل الأمر نفسه؛ لأن مواجهة المخاطب بالإهانة والإذلال أشد على نفسه وأقسى من عدم المواجهة؛ لدلالتها على أن المتكلم لا يأبه بمخاطبه ولا يعتد به ولا يلتفت إليه.

ومن ذلك ــ أيضا ــ ما جاء في حديث أنس بن مالك ــ رضي الله عنه، عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم، قال: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة ليس من نقابها نقب إلا عليه ملائكة صافين يحرسونها....."[٢].

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى ٤٧/١(خسأ)، تحقيق أحمد عبد الغفورعطار، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، والمحكم و المحيط الأعظم لابن سيده ٢٢٩/٥، فصل الخاء والسين والهمزة، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠ م.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث ص

فالمراد بنقاب المدينة ــ بكسر النون ــ طرقها وفجاجها، وهو جمع نقب، وهو الطريق بين جبلين[١].

وهذه الكلمة فيها دلالة على شدة الحراسة والتحصين والمنعة، وأن الدجال لن يستطيع أن يدخل مكة والمدينة من أي ثغر من ثغورها.

وتأمل مجيء هذه الكلمة على وزن الكثرة وما تشير إليه من رعاية الله وعنايته وحفظه للمدينة، فكل نقابها محاطة بملائكة يحرسونها ويحفظونها، ويدفعون عنها شر الدجال وغوايته.

وفي هذه الكلمة برهان عظيم ظهرت صحته ببركة دعائه ــ صلى الله عليه وسلم ــ للمدينة، وأن الدجال لن يستطيع ولوجها لحراسة الملائكة لها، ومنعهم هذا الأعور الكذاب من أن يعيث فيها فسادا وينشر دجله وفتنته.

---

(١) تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهري ١٦٠/٩ باب القاف و النون، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، والمخصص لابن سيده ٤٨/٣، باب الجبال وما فيها، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

المبحث الثاني

"بلاغة التصوير بصيغ الزمن"

يعد التصوير بصيغ الزمن في الحديث عن الفتن ملمحا بارزا وعلامة واضحة، وذلك لما يضفي عليه هذا الأمر من معايشة الحدث وتخيله، حتى كأنه يتراءى أمام السامع أو القارئ، مما ينعكس على الغرض المساق له هذه الأحاديث، وهو التحذير من المشاركة في تلك الفتن وتجنبها، وعدم الانسياق وراء ملذاتها ومغرياتها.

ومن التصوير بصيغ الزمن ما جاء في حديث زينب بنت جحش "أن النبي – صلى الله عليه وسلم – دخل عليها فزعا يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب ....."[١].

فالفعل المضارع "يقول" فيه استحضار لصورة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو يتكلم؛ لأنه أوقع في إيصال المعنى، وآكد في تحقيق الغرض المراد، وهو تحذير النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمته من فتنة يأجوج ومأجوج، وما وراءهم من شر مستطير، فلو اتسع الخرق ــ بحيث يخرجون ــ كان وبالا ومصيبة؛ لأن في خروجهم على الناس إهلاكا عاما لهم.

فتصور النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو يتكلم له أعمق الأثر في الاستجابة والإذعان للكلام؛ لأنه يضفي على الكلام نوعا من الجلال والهيبة والوقار.

ويمكن أن يلمح من التعبير بالمضارع أمر آخر، وهو أن هذا الكلام ليس خاصا بهذا الجيل من الرعيل الأول من الأمة، وإنما هو للأجيال المتعاقبة، جيلا بعد جيل، بدلالة التجدد والحدوث "الدلالة الأصلية للفعل المضارع".

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث ص

وفيه دلالة ثالثة وهي أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يردد هذه الكلمة "لا إله إلا الله....." ويكررها مرة بعد مرة، وذلك حسبما تقتضيه دلالة المضارع الأصلية التي ذكرت آنفا، وفي هذا نداء على خطورة الأمر، وتنبيه على عظم البلاء.

ومن التصوير بصيغ الزمن ــ أيضاــ ما جاء في حديث عائشة ــ عن الخسف بالجيش الذي يؤم البيت ــ أنها قالت: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم: "يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم، قالت: قلت يا رسول الله: كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟! قال: يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم"(١).

جيش يؤم الكعبة يريد تخريبها، فيخسف الله بهم كلهم لشؤم الأشرار،ثم إنه ــ تعالى ــ يبعث كلا منهم في الحشر بحسب قصده، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

وهذا الحديث حافل بالتصوير بصيغ الزمن، فقد بني على تكرار فعلين أساسين هما: "يغزو– ويخسف"، وهذان الفعلان يدور عليهما الغرض الذي سيق من أجله هذا الحديث.

فمجيء هذين الفعلين على صيغة المضارع فيه استحضار للصورة وإبراز للمشهد، حتى كأن السامع يرى ويشاهد هيئة الجيش الغازي وصورة الخسف به، ولا يخفى ما في هذا الأمر من تحذير وتنفير من المشاركة في هذا الجيش أو مناصرته، فمصيره الخسف ومآله الإبادة والهلاك، فلا يبقى منه أحد.

(١) سبق تخريج هذا الحديث ص

والتعبير بالفعل "يخسف" إشارة إلى هلاكهم عن بكرة أبيهم، بدلالة تقييد الفعل بأولهم وآخرهم، فإذا كان الخسف يطول أطراف الجيش ــ أولها وآخرها ــ فلحوقه للقلب أولى وآكد.

كلمة "الخسف" تناسب ما أرادوا فعله وأقدموا عليه، فهذا الجيش عزم على أن يهدم الكعبة ويخربها، فجاء العقاب سريعا، وفي لمحة خاطفة، فالأرض قد ابتلعتهم وهووا في بطنها، وذهب هذا الجيش ضعيفا عاجزا، لا ينصره أحد، ولا ينتصر بعدد أو عتاد.

فالخسف زلزال شديد تنشق به الأرض، فيحدث بانشقاقها هوة عظيمة تسقط فيها الديار والناس، ثم تنغلق الأرض على ما دخل فيها. وقد أصاب ذلك قوم لوط حين قلبوا الفطرة، فقلب الله عليهم ديارهم، وجعل عاليها سافلها، وبلادهم مخسوفة اليوم في بحيرة لوط من بلاد الشام.

ومجيء الفعل مبنيا للمفعول فيه دلالة على قوة الخسف وشدته، كما أن فيه – أيضا – نوعا من عدم المبالاة بهذا الجيش، وأنه لا يؤبه له ولا يعتد به؛ بدلالة عدم ذكر الفاعل، وإن كان معينا في نفسه.

ومن التصوير بصيغ الزمن ما جاء في حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم – قال: "لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان، فيكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة"(١).

فالتعبير بالفعل المضارع في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ "يقتتل" دلالة على استحضار صورة الاقتتال القائمة بين هاتين الفئتين.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم– لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان، دعوتهما واحدة، حديث رقم ٦٩٣٥، ١٧/٩، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: إذا تواجه المسلمان بسيفهيما، حديث رقم ٢٨٨٨، ٢٢١٤/٤.

واستحضار المشهد ــ هنا ــ فيه نوع من التنفير والتحذير من الانخراط والانجرار إلى هذه الفتن، بتصوير كثرة ما ينجم عنها من شدة التناحر والطعن، ومدى حرص كل فئة على قتل الأخرى، والظفر بها والنيل منها.

على أن "الاقتتال" فيه اختلاط بسبب القتال حتى يكونوا كالفئة الواحدة، وهذا الاختلاط بين المتقاتلين ليس مقصورا على الأجساد والعتاد في ساحة المعركة فحسب، وإنما هو اختلاط في دعوتهما، فكل منهما يدعي أنه على الحق، وأن نصرة هذا الدين إنما يكون باتباع دعوته والذب عن مذهبه، ويدل على ذلك تذييل الحديث بقوله ــ صلى الله عليه وسلم: "دعواهما واحدة".

فالحق غائب حينئذ، والسمة الغالبة على الناس آنذاك اختلاط المفاهيم والأفكار، وعدم وضوح الرؤية؛ ولذلك كان الاقتتال بين هاتين الفئتين مقدمة قوية ودليلا قاطعا على قرب قيام الساعة وانتهاء الزمان.

ومن التصوير بصيغ الزمن ما جاء في حديث حذيفة – رضي الله عنه – حيث يقول: "كنا جلوسا عند عمر – رضي الله عنه، فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الفتنة، قلت: أنا – كما قاله – قال: إنك عليه (أو عليها) لجريء، قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي ..."[١].

فتنة الرجل في أهله وماله وولده ضروب من فرط محبته لهم وشحه عليهم، وشغله بهم عن كثير من الخير[٢]، كما قال تعالى: "إنما أموالكم وأولادكم فتنة"[٣]، أو لتفريطه بما يلزم من القيام بحقوقهم وتأديبهم وتعليمهم، فإنه راع لهم ومسئول عن رعيته.

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث ص

(٢) شرح النووي على مسلم ١٧١/٢.

(٣) سورة التغابن : الآية ١٥.

ولما كانت تلك الفتن تتكرر وتتجدد فقد جاء الفعل المضارع مصورا تلك الحالة ومناسبا لها، فتكفير تلك الفتن يتجدد كذلك مرة بعد مرة.

والتكفير هو العفو عن المؤاخذة بتلك الأمور، وهو مصدر "كفَّر" مبالغة في "كفَر" وغلب استعماله في العفو عما سلف من السيئات.

فهذه الكلمة فيها استعارة تبعية مشهورة، حيث استعير الستر للإزالة مثل الغفران -أيضا.

فالكَفْر بالفتح: التغطية وبابه ضرب، والكافر: الليل المظلم لأنه ستر بظلمته كل شيء، وكل شيء غطى شيئا فقد كفره، ومنه سمي الكافر لأنه يستر نعم الله عليه، والكافر: الزارع لأنه يغطي البذر بالتراب[١].

على أن التكفير المراد في هذا الحديث ليس على عمومه، وإنما الراجح أن هذه الأشياء مكفرة إذا اجتنبت الكبائر؛ لأنه لو كانت الطهارة وأداء الصلوات وأعمال البر مكفرة لما احتاج إلى التوبة المأمور بها في قوله تعالى: "يا آيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ...."[٢].

ولعل السر في تعيين هذه الأشياء الخمسة ــ دون غيرها ــ أنه لما كانت الحقوق في الأبدان والأموال والأقوال، ذكر من أفعال الأبدان أعلاها، وهو الصلاة والصوم، قال تعالى: "وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين"[٣]، وذكر من حقوق الأموال أعلاها، وهى الصدقة، ومن الأقوال أعلاها، وهى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٤].

---

(١) مختار الصحاح ٢٧١ (كفر) .
(٢) سورة التحريم : الآية ٨.
(٣) سورة البقرة : الآية ٤٥.
(٤) عمدة القارى ٩/٥.

ويأتي الموضع التالي في حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم- قال: "يخرّب الكعبة ذو السويقتين من بلاد الحبشة"[١].

فدلالة الزمن في قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "يخرب" فيه استحضار الصورة، حتى كأنك ترى وتشاهد ذلك التخريب؛ استعظاما للأمر، وتهويلا من شأنه.

والإخراب والتخريب: إسقاط البناء ونقضه، والخراب: تهدم البناء[٢]، وتضعيف عين الفعل للدلالة على كثرة التخريب والإمعان فيه إلى درجة تجاوز حدود المعقول، كما أن التضعيف يدل ــ أيضاــ على مدى تمكن مشاعر الغل والحقد من هذا الرجل التي تدفعه إلى هذا التخريب المبالغ فيه.

وتأمل دلالة الفعل مرة أخرى تجد أن هذا التخريب عن عمد وقصد، فالتخريب ــ هناــ قد دبر له وخطط، وليس تخريبا حيثما جاء واتفق.

فهذه الكلمة تشير إلى تمكن هذا الرجل من فعلته الشنيعة، وأنه يخرب على مهل؛ لعلمه بعدم وجود من يجابهه أو يمنعه عن بيت الله الحرام؛ لأن ذلك حينئذ في آخر الزمان بعد موت عيسى والمؤمنين.

وأي زمن هذا الذي يخرب فيه قبلة المسلمين و مقصدهم رجل ضعيف حقير تافه، ولا يوجد من يتصدى له ويذب عن بيت الله.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: هدم الكعبة، حديث رقم ١٥٩٦، ١٤٩/٢، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم ٢٩٠٩، ٢٢٣٢/٤.

(٢) ينظر: لسان العرب ٣٤٧/١ (خرب) .

فالتصغير في قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "السويقتين" للتحقير والإهانة، والإشارة إلى دقة ساقه وصغرها؛ لأن في سيقان الحبشة دقة وخموشة.

و لا يخفى أن التصوير بالفعل ــ هنا ــ لا يتعارض مع قوله تعالى: "أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ...."[١]، لأن معناه: آمنا إلى قرب القيامة وخراب الدنيا.

ويأتي بعد ذلك حديث عبد الله بن عمر قال: "سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم ..."[٢].

فقوله ــ صلى الله عليه وسلم: "تقاتلكم" استحضار لصورة القتال، وكأنها ماثلة أمام السامع وواقعة أمام ناظريه، يتخيل المشهد ويعايشه، وهذا التصوير له عظيم الأثر وبالغ الدلالة في ترسيخ الغرض من الحديث وتمكينه في النفوس.

والتصوير بالمضارع ــ هنا ــ فيه ملمح آخر وهو أن غدر اليهود ومكرهم بالمسلمين ليس مرتبطا بزمن خاص أو معركة بعينها، وإنما يتجدد بطشهم ويستمر اعتداؤهم بتجدد نسلهم وبقاء ذريتهم.

ومن العلماء من ذكر بأن المراد بقتال اليهود ــ هنا ــ وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى، وكان وراء الدجال سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى، فيدركه عيسى عند باب لُد، فيقتله وينهزم اليهود، فلا يبقى شيء مما يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء[٣].

على أن بناء الفعل على هذه الصورة فيه إشارة ــ أيضا ــ إلى أن يد الغدر والبغي هي البادئة بالاعتداء والقتال، وأن المسلمين سيتصدون لهؤلاء

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٦٧.
(٢) هذا الحديث سبق تخريجه ص
(٣) ينظر فتح الباري لابن حجر ٦/٦١٠ .

اليهود ويتمكنون منهم، ويكون النصر حليفهم، بدلالة قوله – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك: "فتسلطون عليهم".

ومن التصوير بالزمن ــ أيضاــ ما جاء في حديث ابن عمر ــ رضي الله عنه، قال: "انطلق النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأبي بن كعب، يأتيان النخل الذي فيه ابن صياد، حتى إذا دخل النخل، طفق النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتقي بجذوع النخل، وهو يختل ابن صياد، أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه ابن صياد..."(١).

فقد تكرر التصوير بالفعل المضارع في أكثر من موضع في هذا الحديث، وقد بني هذا النظم النبوي على الأفعال: "يأتيان ــ يتقي ــ يختل".

والتعبير بالمضارع ــ هناــ فيه استحضار صورة الحدث كأن السامع يرى ويشاهد النبي – صلى الله عليه وسلم– وأبي بن كعب وهما يأتيان المكان الذي فيه ابن صياد، وهذا أوقع في التعبير عن المراد وأبلغ في تحقيق الهدف من الصورة.

كما أن التعبير بتلك الأفعال فيه دلالة –أيضا– على الطلب الحثيث والسعي الدؤوب من النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ تجاه ابن صياد؛ لفضح أمره وكشف أكاذيبه حتى لا ينخدع به ضعاف النفوس.

(١) هذا الحديث سبق تخريجه ص

المبحث الثالث

"التصوير بصيغ المبالغة"

جاء التصوير بصيغ المبالغة في الحديث عن الفتن في خمسة مواضع.

وكان أول هذه المواضع ما جاء في حديث زينب بنت جحش، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – دخل عليها فزعا يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب .... (١).

فقوله "فزعا" صيغة مبالغة تصور مشاعر الخوف والفزع التي أصابت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مما سيقع في بلاد المسلمين من مفاسد عظيمة، وكثرة الخبث وفشوه، حتى يعم الفساد، فيهلك ــ حينئذ ــ القليل والكثير.

وقد دخل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على زينب بنت جحش على هذه الحالة خشية أن يدركه وقتهم؛ لما فيه من الهرج وهلاك الدين.

وتأمل دقة اختيار هذه الصيغة دون غيرها من صيغ المبالغة، فهذه الكلمة بما فيها من خفة في النطق ــ حيث جاءت على وزن (فَعِل) ــ تناسب المقام الذي وردت فيه، حيث تصور ــ على أكمل وجه ــ مشاعر القلق والتوتر والاضطراب التي انتابت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مما رآه من فتن وأهوال ستصيب أمته.

وأما الموضع الثاني من مواضع التصوير بصيغ المبالغة في الحديث عن الفتن فقد جاء في حديث أبي بكرة عن الأحنف بن قيس، قال: "ذهبت لأنصر هذا الرجل، فلقيني أبو بكرة، فقال: أين تريد؟ قلت: أنصر هذا الرجل، قال: ارجع فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: إذا التقى المسلمان بسيفهيما

(١) هذا الحديث سبق تخريجه ص

فالقاتل والمقتول في النار، فقلت: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟! قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه"[١].

في هذا الحديث تحذير شديد من المشاركة في الفتن وتنفير من النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بتجنبها والابتعاد عنها؛ لأن مآل القاتل والمقتول في النار؛ لحرص كل منهما على قتل صاحبه حين التقاه بسيفه؛ ولذا فقد اشتركا في الإثم والجرم، وكان مصيرهما واحدا، كما كان هدفهما واحدا.

وقوله ــ صلى الله عليه وسلم: "حريصا" صيغة مبالغة تصور الحرص الشديد والسعي الحثيث والمحاولة الدؤوبة من جانب المقتول لقتل صاحبه؛ لأن الحرص هو "شدة الإرادة والشره إلى المطلوب"[٢].

ثم إن هذه الكلمة فيها دلالة على تصوير القصد والتعمد؛ ولذا فقد أدخل الحرص على القتل – وهو صغيرة – في سلك القتل – وهو كبيرة – لكونهما سببا لدخول النار فقط، وإن تفاوتا صغرا وكبرا وغير ذلك.

والمتأمل في كلمة "حريصا" في هذا المقام مرة أخرى يجد أنها تبرز المعنى النفسي – القصد والتعمد، والرغبة الشديدة في القتل والجشع إليه ــ إلى واقع محسوس.

ثم راجع دلالة هذه الكلمة مرة ثالثة وما فيها من إيحاء بمشاركة المقتول للقاتل في الإثم، واستوائهما في القصد، وهذا يجعلها لصيقة بالمقام الذي وردت فيه، وهو التنفير والترهيب والتحذير من المشاركة في الفتنة بعدم التقاء المسلمين بسيفيهما.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه ص

(٢) لسان العرب ١١/٧ (حرص) .

وإخراج الكلام مخرج الإظهار في موضع الإضمار، بالتعبيرعن القاتل بكلمة "صاحبه" ــ حيث لم يقل: "إنه كان حريصا على قتله"، فهذه الكلمة أشد حساسية وأعمق صلة، وأدل على نوع الوشيجة التي تربطهما، فإذا كان القاتل صاحبه فيجدر به، بل يجب عليه أن لا يلتقيه بسيفه، ويلقي به في المهالك، ويدفع به إلى المهاوي.

وقد استنبط العلماء من هذا الحديث أن من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه؛ ولذا جاء التصوير بلفظ "الحرص" فيه.

ويحمل ما وقع من نحو قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به"(١)، وفي الحديث الآخر: "إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه"(٢)، على أن ذلك فيما إذا لم يوطن نفسه عليه، وإنما مر ذلك بفكره من غير استقرار، ويسمى هذا هما، ويفرق بين الهم والعزم، وإن عزم تكتب سيئة، فإذا عملها كتبت معصية ثانية(٣).

وجاء الموضع الثالث في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم– قال: "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون، قريبا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله"(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تجاوز الله عن حديث النفس و الخواطر بالقلب، إذا لم تستقر، حديث رقم ٢٠١، ١١٦/١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، حديث رقم ٢٠٣، ١١٧/١.

(٣) ينظر: عمدة القارى ٢١٢/١ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٦٠٩، ٢٠٠/٤، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم ٢٩٢٣، ٢٢٣٩/٤.

صورة أخرى من صور حرصه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على نجاة أمته، وعدم انجرافها في الفتن المختلفة، فالنبي– صلى الله عليه وسلم – يحذرنا في هذا الحديث من هؤلاء الكذابين الذين يخلطون الحق بالباطل، ويموهون على الناس؛ رغبة منهم في قلب الحقائق، وحرصا على نشر الفتن والملذات؛ لعلهم يظفرون بمن يتبعهم أو يسير في ركابهم.

وليس المراد بالحديث هنا من ادعى النبوة مطلقا، فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم من نشأة جنون أو سوداء غالبة، وإنما المراد من كانت له شوكة وسول لهم الشيطان بشبهة، فقد خرج مسيلمة باليمامة والأسود باليمن في آخر زمن النبي ــ صلى الله عليه وسلم، وقتل الأسود قبل أن يموت النبي ــ صلى الله عليه وسلم، وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر ــ رضي الله عنه، وخرج طلحة في خلافة أبي بكر، ثم تاب ومات على الإسلام – على الصحيح – في خلافة عمر – رضي الله عنه – وهكذا[1].

وتأمل دلالة التصوير بصيغة المبالغة "دجالون كذابون" وما توحي به من تمكنهم من الدجل والكذب والتدليس والتمويه والخداع، كما أنها تشير إلى تمرسهم على الدجل والكذب وأن هذه الصفات صارت لازمة لهم، لا ينفكون عنها ولا تنفك عنهم، فكأن الدجل والكذب صار من أخلاقهم وطباعهم.

فصيغ المبالغة ــ هنا ــ تشير إلى أن هؤلاء الدجالين قد تمكنوا من كل الصفات الذميمة القبيحة، كما أنها تشير ــ أيضا ــ إلى أنهم قد فضلوا على عامة الناس وميزوا عنهم بأمور مكنتهم من خداع الجماهير والعامة، وجعلت لهم أنصارا يقتفون أثرهم وينهجون نهجهم في الزيف والخداع والضلال.

(١) راجع: عمدة القاري ١٤١/١٦.

فربما وهب هؤلاء الدجالون طلاوة لسان وحسن بيان جعلت الجهلاء والعامة ينخدعون بهم وينساقون خلفهم، وربما كانت لهم شوكة ومنعة فخافهم الناس وأهابوهم، واتبعوهم راغمين صاغرين وهكذا.

ثم تأمل معنى الكثرة الذي يستفاد من صيغة المبالغة ــ هنا، ومعنى الكثرة الذي تصوره صيغة المبالغة يتناغم مع النص على العدد في قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "قريبا من ثلاثين".

على أن معنى الكثرة فيه حث للناس – من طرف خفي – على عدم الانجراف والانخداع خلف هؤلاء الدجالين، فالكثرة ليست معيارا على صدق المسلك ورشاد الرأي، فقد قال تعالى مخاطبا نبيه – صلى الله عليه وسلم: "وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون"(١).

وهناك سؤال مهم ربما يدور بخلد من يقرأ هذا الحديث ويجول بخاطره، وهو: ما الفرق بين هؤلاء الدجالين وبين الدجال الأكبر؟!

فلعل الفرق بينهم وبين الدجال الأكبر أنهم يدعون النبوة وهو يدعي الإلهية، لكنهم كلهم مشتركون في التمويه وادعاء الباطل العظيم، وقد وجد كثير منهم وفضحهم الله وأهلكهم.

على أن هناك فرقا آخر وهو أن هؤلاء الدجالين سيبعثون في أزمنة مختلفة وعصور متعاقبة ــ كما سبق بيانه ــ أما الدجال الأكبر فسيبعث بين يدي الساعة، ويكون مقدمة لها وأمارة عليها.

وفي تقييد كلمة "الدجالون" بصيغة المبالغة "كذابون" للنداء على اقتران الكذب بالدجل، وعدم انفكاكه عنه، فالدجال لا يكون إلا كاذبا، بدليل حديث النبي

(١) سورة الأنعام : الآية ١١٦.

ــ صلى الله عليه وسلم: "الملائكة تتحدث في العنان – والعنان الغمام ــ بالأمر يكون في الأرض، فتسمع الشياطين الكلمة، فتقرُّها في أذن الكاهن كما تُقَر القارورة، فيزيدون معها مئة كذبة"(١).

ولا يخفي أن مجيء صيغة المبالغة ــ هنا ــ منكرة فيه دلالة على التكثير، حتى يتناغم مع قوله ــ صلى الله عليه وسلم: "قريبا من ثلاثين"، فالتنكير يضفي على الصيغة معنى التكثير الذي يرنو إليه الحديث.

وأما الموضع الرابع فقد جاء في حديث عبد الله بن عمر، عندما انطلق عمر ــ رضي الله عنه ــ في رهط من أصحاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل ابن صياد، فقال له النبي ــ صلى الله عليه وسلم: "إني قد خبأت لك خبيئا"(٢).

فقد امتحن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ابن صياد بما خبأه له من آية الدخان؛ لأنه كان يبلغه ما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الكلام في الغيب، فامتحنه ليعلم حقيقة حاله، ويظهر كذبه ويفند مزاعمه للصحابة، وأنه كاهن ساحر، يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه ما يلقيه الشياطين إلى الكهنة، فامتحنه بإضمار قول الله – تعالى: "فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين"(٣).

---

(١) راوي هذا الحديث هو السيدة عائشة –رضي الله عنها. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، حديث رقم ٣٢٨٨، ٤/ ١٢٥. فتقرها: يقال قررت الكلام في أذن الأصم إذا وضعت فمك على صماخه فتلقيه فيه، كما تقر القارورة: أي كما يطبق رأس القارورة على رأس الوعاء الذي يفرغ منها فيه، وقيل: يلقيها فتستقر في أذنه كما يستقر الشيء في قراره.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه ص

(٣) سورة الدخان : الآية ١٠.

فقوله ــ صلى الله عليه وسلم: "خبيئا" صيغة مبالغة تصور شدة الإخفاء وغاية الستر؛ ليكون أوقع في اختباره؛ لإظهار كذبه وتفنيد مزاعمه.

وإنما أراد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بهذه الصيغة أن يعلم الصحابة قدره وقدر أمثاله من الكهان الذين يحفظون من إلقاء الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة، بخلاف الأنبياء ــ صلوات الله وسلامه عليهم، فإنهم يوحى إليهم من علم الغيب ما يوحى، فيكون واضحا كاملا.

وبين قوله "خبأت – وخبيئا" جناس اشتقاق أبرز المعنى المراد "شدة الإخفاء والستر"، وحقق الغرض المساق له هذه الكلمة في هذا المقام، وهو اختبار النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ له، حتى يظهر كذبه ويدحض افتراءه[١].

وفيه مبالغة ودلالة على إخفاء فوق إخفاء، فالمخبوء مخبء هو الآخر؛ إمعانا في إخفائه وستره؛ لأن الخبيء هو الشيء المخبوء – من الخبأ ــ وهو كل شيء غائب مستور، يقال: خبأت الشيء خبأ: إذا أخفيته، واختبأت: استترت، وجارية مخبأة: أي مستترة، وامرأة خُبَأة – مثل هُمَزة– تلزم بيتها وتستتر[٢].

ودلالة التنكير في هذه الصيغة وما فيها من إبهام هو الذي يناسب المقام، وذلك حتى تذهب النفس في تصوره كل مذهب ممكن.

على أن مجيء صيغة المبالغة مفعولا مطلقا فيه تأكيد ــ أيضا ــ على شدة حرص النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على إخفاء هذا الأمر وعدم إظهاره لابن صياد، حتى يعلم الصحابة حقيقة أمره، وأنه لا يعدو أن يكون كاهنا أو ساحرا يلقي إليه شياطينه بعض ما يسمعون.

---

(١) المراد بقوله "خبيئا" هو الشيء الغائب المستور، أي : أضمرت لك سورة الدخان، واختلف في هذا المخبوء ما هو؟!، فقال القرطبي: الأكثر على أنه أضمر له في نفسه "يوم تأتي السماء بدخان مبين". راجع تفصيل هذا الأمر في كتاب: عمدة القاري ١٧٠/٨.

(٢) لسان العرب ٦٢/١ (خبأ) .

فالمبالغة في إخفاء هذا الشيء قد تحققت من عدة وجوه: من وزن المبالغة "فعيل"، ومن مادة الكلمة نفسها، ومن تنكيرها، ومن موقعها الإعرابي.

وجاء الموضع الخامس في حديث أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال: حدثنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حديثا طويلا عن الدجال، فكان فيما حدثنا به أن قال: يأتي الدجال، وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل وهو خير الناس، أو من خير الناس فيقول الدجال: أرأيت إن قتلت هذا ثم أحييته، هل تشكون في الأمر، فيقول: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم، فيقول الدجال: أقتله، فلا أسلط عليه(١).

يصور هذا الحديث كثرة الكلام الذي وصف به النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الدجال في قوله " طويلا "، وهذه المبالغة في المعنى تتناغم مع مقام حرصه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على إظهار أمر الدجال لأمته حتى لا يختلط عليهم الأمر، و يكونوا أكثر بصيرة به، وحذرا من اتباعه.

وتأمل ما يرنو إليه هذا الحديث من حرص الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ على الاستماع لكلام النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتشوفهم إلى متابعته ــ رغم طوله ــ بدون أن يشعروا بسأم أو ملل.

وإنما جئ بقوله "بصيرة" ــ هنا ــ على مثال المبالغة، تأكيدا على شدة تيقن هذا الرجل من الدجال وظهور أمره له، حتى أضحى ظاهرا للعين الباصرة، ولا توجد شائبة شك في خفاء أمره أو التباس شأنه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب: لا يدخل الدجال المدينة، حديث رقم ٧١٣٢، ٩/٦٠، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن و أشراط الساعة، باب: في صفة الدجال، وتحريم المدينة عليه، وقتله المؤمن و إحيائه، حديث رقم ٢٩٣٨، ٤/٢٢٥٦.

فصيغة المبالغة ــ هنا ــ تشير إلى أن تصدى هذا المؤمن للدجال ومجابهته له، وعدم طاعته لأوامره؛ إنما يكون عن حجة واضحة غير عمياء، فهو يعرف طريقه جيدا، ويسير فيه على بصر وإدراك ومعرفة، لا يخبط ولا يتحسس، ولا يحدس، فهو اليقين البصير المستنير.

كما أن قوله "أشد بصيرة" فيها دلالة أيضا على الرسوخ والثبات على الموقف، فمع أن الدجال قد قتله وأحياه ــ بأمر الله ــ إلى أن موقفه لم يتغير ولم يخالجه أدنى شك أو ريب في أن هذا هو الدجال الموسوم في حديث النبي ــ صلى الله عليه وسلم.

ومما يعضد ثبات هذا الرجل وتمسكه بموقفه، وعدم تزحزحه عنه؛ ما جاء في رواية أبي الودَّاك: "ما ازددت فيك إلا بصيرة، ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، وفي رواية عطية: فيقول له الدجال: أما تؤمن بي؟ فيقول: أنا الآن أشد بصيرة فيك مني، ثم نادى في الناس: يا أيها الناس هذا المسيح الكذاب من أطاعه فهو في النار، ومن عصاه فهو الجنة"(١).

ثم راجع الموقع الإعرابي لصيغة المبالغة ــ هنا ــ تجد أنها جاءت تمييزا لأفعل التفضيل، ولا يخفى أن التمييز فيه إيضاح بعد إبهام، فهذا المؤمن سيتصدى للدجال بحجة واضحة، وببصيرة متمكنا منها، حتى يكون مثالا يحتذى ونموذجا يقتدى به، فينكشف زيف الدجال، ولا ينخدع به الصالحون المؤمنون.

(١) فتح البارى لابن حجر ١٠٣/١٣ .

الخاتمة

وبعد أن طوفنا مع "بلاغة التصوير النبوي في الحديث عن الفتن فيما اتفق عليه الشيخان" وتأملنا مواضعه تفصيلا وتحليلا، وتعرفنا على بعض أسراره ونكاته البلاغية، وسماته وخصائصه الأسلوبية المميزة له، يجدر بنا أن نرصد – هنا – في خاتمة البحث بعض النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، والتي يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أولا : خرجت الصورة التشبيهية في كتاب الفتن مخرج التشبيه الصريح، وهذا من عبقرية البيان النبوي وإعجازه، فإن هذا النوع من التشبيهات هو الذي يتناسب مع هذه المقامات التي تتطلب قدرا من الوضوح والظهور؛ تصويرا لخطورة الفتن، وتجسيدا لأثرها في النفس و المجتمع، لأخذ الحيطة والحذر.

ثانيا : وبناء على ذلك فقد غلب على الصور التشبيهية ذكر أدوات التشبيه، وإن شئت دليلا على ذلك فراجع الصور التشبيهية التي رصدها البحث في المحور الأول من البحث، هذا من جانب، ومن جانب آخر جاء التصوير بالحركة الجسمانية في عدد من المواضع تحقيقا لهذه الغاية، وتمكينا للمعنى في النفس، وتقريرا له في الوجدان.

ثالثا : تميزت الكثير من الصور التشبيهية بالطرافة والغرابة، على نحو لا تكاد ترى مثله في كلام آخر، مثل تشبيه الوجوه بالمجان المطرقة.

رابعا : تنامى الصور وتصاعدها ببناء بعضها على بعض في نسق وأسلوب واحد.

خامسا : كان للتصوير بصيغ الزمن دور كبير في تصوير وتجسيد تلك الفتن وإبرازها وكأنها ماثلة للعيان، وهذا فيه ما فيه من المبالغة في التحذير والتنفير من هذه الفتن، والحث على الابتعاد عنها وتجنبها وعدم الخوض فيها.

سادسا : إيثار صيغ وألفاظ موحية ومعبرة بجرسها وطبيعة دلالتها عن طبيعة الموقف والمقام.

سابعا : كثرة الصور المجازية، وبخاصة الاستعارية منها، وهذا يرجع إلى ما تمتاز به الاستعارة من تجسيد وتشخيص تقتضيه مقامات الفتن التي تتطلب قدرا كبيرا من الوضوح والظهور، حتى تتقرر المعاني المرادة في النفوس وتستقر في الأذهان.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا،

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهم مراجع البحث

١- أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم، د/ محمود موسى حمدان، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

٢- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.

٣- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٤- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢م.

٥- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

٦- دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين لمحمد على البكري الصديقي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

٧- سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، (د . ت).

٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

٩- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٠-صحيح مسلم لأبي الحسن مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د . ت).

١١-عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (ضمن كتاب شروح التلخيص)، دار الإرشاد الإسلامي – بيروت، (د . ت).

١٢-عمدة القارى شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت،(د . ت).

١٣-فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٤-في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق – القاهرة، الطبعة السابعة عشرة ١٤١٢هـ.

١٥-القاموس المحيط للفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

١٦-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

١٧-لسان العرب لجمال الدين ابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

١٨-مختار الشعر الجاهلي، شرحه وحققه وضبطه المرحوم: مصطفى السقا، شركة مكتبة ومطبعة: مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الخامسة ٢٠٠٩م.

١٩-مختار الصحاح لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية– بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

٢٠-المخصص لابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

٢١-مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

٢٢-معالم السنن، وهو شرح سند أبي داود للخطابي، المطبعة العلمية – حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م.

٢٣-المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٤-مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

٢٥-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ليحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .

٢٦-النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح لفضيلة الشيخ: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

٢٧-الأدب وفنونه، د/ محمد مندور ، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ١٩٧٧م.

٢٨-الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، د/ أحمد ياسوف ، دار المكتبي – سورية، الطبعة الثانية ١٤٢٧ه = ٢٠٠٦م.

محتويات البحث

م	الموضـــوع	رقم الصفحة
١	**المقدمة**	٤٦٩٧
٢	**التمهيد**	٤٧٠٠
٣	**المحور الأول** : بلاغة التصوير بالتشبيه في الحديث عن الفتن.	٤٧٠٣
٤	**المحور الثاني** : بلاغة التصوير بالمجاز في الحديث عن الفتن، ويشتمل على ثلاثة مباحث:	٤٧٢٤
٥	**المبحث الأولى** : بلاغة التصوير بالاستعارة.	٤٧٢٤
٦	**المبحث الثاني** : بلاغة التصوير بالمجاز المرسل.	٤٧٤٤
٧	**المبحث الثالث** : بلاغة التصوير بالمجاز العقلي.	٤٧٤٦
٨	**المحور الثالث** : بلاغة التصوير بالكناية في الحديث عن الفتن.	٤٧٤٩
٩	**المحور الرابع** : بلاغة التصوير بالكلمة المفردة في الحديث عن الفتن، ويشتمل على ثلاثة مباحث:	٤٧٦١
١٠	**المبحث الأول** : التصوير بالدلالة المعجمية.	٤٧٦١
١١	**المبحث الثاني** : التصوير بصيغ الزمن.	٤٧٧٢
١٢	**المبحث الثالث** : التصوير بصيغ المبالغة.	٤٧٨٠
١٣	**الخاتمة**	٤٧٨٩
١٤	**ثبت المصادر والمراجع**	٤٧٩١
١٥	**محتويات البحث**	٤٧٩٤